المحتويات

قصائد

قيصر عفيف	قصيدتان	5
م. علاء الدين عبد المولى	قصائد إلى (ر)	7
صادق الطريحي	نص قصير لحقل طويل	10
فواز قادري	قصائد بنكهة الأنوثة	11
إيناس العباسي	مثل نمر في حديقة اللغة	16
كمال جمال بك	قصائد	21
لقمان محمود	نوافذ	25
تنـگزار ماريني	قصائد قصيرة	30
نمر سعدي	كعشب يضيء ظلال الكمنجات	33
إبراهيم اليوسف	سليم بركات يكتب بالكردية	36
فراس حج محمد	سلام على ذاك الوحيد	40
ميشلين مبارك	قصيدتان	43
فاطمة حاسي	تشظّ	44
بادر سيف	مهر الكهولة سنام النمل	46
صليحة نعيجة	الحصى	50
أحمد هلالي	أنبياء بلا كتب	53
محمود شريح	عند الجليل نسمة روحي	55
محمود عبدو	حلم صبّار	57
Raghida Ibrahim	three poems	59

قصائد مترجمة

وحيد نادر	من الشعر الألماني المعاصر	63

ملفّ عن الشاعر السوري صقر عليشي

د. محيي الدين صبحي	قليل من الوجد كثير من الفطنة	85
د, حسين سرمك حسن	صقر عليشي يرسم	97
ناظم مهنا	المعنى المنفيّ فوق التلّ	104
د. وفيق سليطين	الغزال لصقر عليشي	106
صقر عليشي	قصيدتان	110

مقالات

عدنان الأحمدي	وقفة مع ديوان (أسئلتي)	121
محمود شريح	رأي في ديوان (حقيبة سوق السراي)	123
عبد الله المتقي وآخرون	شهادات عن الناقد المغربي بنعيسى بوحمالة	125

قصائد

قصيدتان

قيصر عفيف

1- فنجان القهوة

حين قرع الفجر بابي
فتحتُ عيني
خرجتُ من عالم الوهم والأحلام
شرَّعتُ نافذتي على الفضاء
جاءت الشمس لزيارتي
وزيارة الحقول والبيوت والجبال
حان وقت القهوة
ماذا في حبّات البن؟
في الحبّة الواحدة تجتمع العناصر
الشمس والأرض، الماء والهواء
داعَبَ النسيم حبّات البن
وغسلها المطر من غبار وتراب
غمرتها الشمس
ومدَّتها الأرض بالطاقة
جاء فلاحٌ يقطفها
وعاملٌ يجمعها، يحملها
وآخر يحمّصها ويطحنها
رباه كيف اجتمع الكلّ في الفنجان
شكرتُ العناصر والناس وبدأتُ:
رشفة منه ويحلّ الرضى،
نكهةٌ سماويةٌ، غوث
أرشفُ فيرشح الكون في الكيان،
يُفتحُ لي، أنسابُ في كل الأبواب

ليس في الجُبَّة الا الكلّ
لا جدار ولا حجاب

2- تحت السنديانة

لم ترو لي السنديانة كل الحكاية
مَن مِن الأجداد هنا جلس
مَن منهم نعس ونام
مَن قرأ سورة القهر وقام
لم ترو لي حكايات الزمان
لا حكاية الكاهن يردد المسبحة
ولا حكاية العاشق يتلو آيات الذّكر
ولا القائد يرسم صورة المذبحة

هنا صارع الأجداد القراءة
والكتابة
تحدّوا اللغة في الأمس وغادروا
الأمس ما مرّ من هنا
ولا الغد
الأمس كان هنا
والغد هنا الآن
والسنديانة لا الأمس تنتظر
ولا الغد

المكسيك

قصائد إلى (ر)

م. علاء الدين عبد المولى

1 ـ أمّ الشهد

لأمّ الشَّهدِ سَلطنةٌ كموسيقى إلهيّةْ
تعيدُ صياغة الأشياءِ في الروح الرماديّةْ
تلوّح فوق ربوتها إلى حجّاجِ صبوتها
فأصعد أخضرَ الأعماقِ في معراج لذّتها
وفوق يدي يسيل الكونُ خابيةً من الشعراءِ
تروي كلّ ظمآنٍ إلى الفرحِ
لأمّ الشّهدِ معجمها الفريدُ من الجمالِ
لها ربيعٌ يتقنُ التحليقَ فوق حدائق القزحِ
وتولدُ كل ثانيةٍ كأنّ إلهها الشعريّ خصّصها
بتنقيح الوجودِ من الجمودِ
وتنويع المقاماتِ الشهيّةِ في الورودِ
لأمّ الشَّهدِ فتنتها الأثيرةُ في ربى الأقداسْ
لهذا كلما شاهدتُها أجدُ القصيدة جدّدتْ ألواحها
وتعطّرتْ وتمايلتْ سكرى
ولكن تفشل الكلماتُ في تحديدِ نهرِ الدهشة المجنونِ في قلبي
فأتركُ مهنةَ التعبيرِ للأيقونةِ الكبرى
وأركعُ عابدًا متعبّدًا متأمّلا خمّارةَ العسلِ
وأؤمن أنه لولا أنوثتها لظلّ الشعرُ مسكينا بلا عملِ...

22 أيار 2023

2 - عيناكِ

عينان قادرتان على تقريب نجمتين
واستقراء قصيدتين تظلان في حالة كتابة
كلما انتهت كلمة أسندتْ مهمة الضّوء للكلمة التالية

عينان تتلقيان موهبة الإمتاع والمؤانسة من أيقونةٍ لا أحد يعلم تاريخ انغماسها في قداسة الجمال.
كيف لي أن أكتشف مفاتيح الصباح إذا لم أغرق في تلك العينين؟
تشعّان قرب المنحوتات الأموميّة عشتاريتين تنجبان في الدقيقة الواحدة اثني عشر احتمالاً للعشق
حتى أن الحجر اللامع تحت النور يكاد يعيد تشكيل نفسه على هيئة رحمٍ متأهب لوضع أرتال من العشاق في ليلة واحدة
وكلهم سوف يتلقّون الضوء من عينيكِ

عيناكِ وحدهما تحتاجان إلى سبع ليالٍ للتسبيح والتمجيد
سبعة آحاد شعنينة لا شرقية ولا غربية
عيناكِ تحرسان انسكاب النشوة خلسةً من قدحين
تكملان ترنيمة تاسوعية تعطي القلق والحيرة تأويلا جديدا
تحركان أسرار الزمان في ساعتي الشمسية
تعتصران رخام الصمت وتنبئان قصيدتي بنهاية مفاجئة
عيناكِ تياران منسجمان في الشفافية والقوة
يصهران كل ما أفكر به في ومضةٍ ثنائية التكوين
وكلما توقعت نسبة من الدهشة فيهما، تكسران لي أفق التوقع
وأنا بحسب ما جاء في الكتب، شاعرٌ لم يصلبني (بيلاطس)
لكني مستعدّ لأنزف سبعين آيةً غامضة وأنا أصلب عينيّ على عينيكِ...

29 أيار 2023

3 ـ ديالكتيك الفرح

لستِ جميلة وحسب؛ بل أنتِ موجزُ علم الجمالِ، ديالكتيك الفرح،
نورٌ ينبع من صمت أيقونةٍ لا ينتهي تكوينها،
أنتِ رائحة الأجراس في القداس وقد ضمّخها بخورُ الموسيقى،
أنتِ وحدك الآن من يضع قلبي على أهبة السجود في رحابِك الألوهية،
القصيدة إذ تحتفي بكِ فهي تردّ لك بعض فضلكِ على جنوني...
يا مثيرةَ أرباب الخيال حتى وهم مشغولون برثاء العالم.
معكِ ينقلب الرثاء إلى كرنفال غبطةٍ تقطفها اللغةُ من ملكوتكِ.
يا قاهرة الموتِ بعينيكِ، يا غنجَ اللطفِ في أوقات الشدّة،
أنت لستِ جميلة وحسب،
أنت من يجعل صراط الجمال مستقيماً...

4ـ نشيد

على وقعِ موسيقى النبيذِ
سمعتُ مَن
بعيدٍ نشيدَ الربّ يعلو على الرّبى
فيا مطَـلقَ التأنيثِ هل أنتَ طاغوتُ؟
إذا كنتَ ...
فامزجني بذاتكَ وانسني
رسولاً يهجّـي طينَـه الحـرَّ لاهوتُ
وإن كنتَ آياتِ الغواية فاشتعلْ
ونـوّرْ تراتيلي
وأسكرْ قناديلي.

19 آذار 2023

سوريا (ألمانيا)

نصٌ قصيرُ لحقلٍ طويل

صادق الطريحي

مَلاحِدةٌ وعمّالٌ مُعاقونَ يَنتشرونَ في بعضِ الطّريقِ المُودّي نحوَ حقلِ القَمحِ (حقلٌ طويلٌ، طولُه الضّعفينِ)

جندٌ ورُعيانٌ وأطفالٌ معاقونَ ينتشرونَ في بعضِ الطّريقِ المودّي نحوَ حقلِ القمحِ (حقلٌ طويلٌ ضيّقُ الرّئتينِ)

جنٌّ وقنّاصونَ مُحترفونَ، زُرقُ الجلودِ، سَيعبرونَ معَ الطّريقِ المُودّي نحوَ حقلِ القَمحِ (حقلٌ طويلٌ واطئ المنسوبِ)

قالَ الجنودُ لبغضهمْ: لمْ تنتهِ الحربُ بَعدُ، وقالَ بَعضُ العابرينَ الذينَ تيبّستْ أطرافُهمْ: إنّ حقلَ القمحِ صارَ لنا مَلاذًا وخُبزًا دائمَ البركاتِ (حقلٌ طويلٌ يانعُ الأعناقِ)

قالَ المَلاحدةُ الغنوصيّونَ والعاملونَ بمَعملِ الأسفلتِ: إنّ الشّوارعَ زحمةٌ تحتاجُ بعضَ التّوسّعِ والتغيّرِ، والطّريقَ المُودّي نحوَ حقلِ القَمحِ يحتاجُ تَعبيدًا وأسْفلتًا جديدًا.

وكنتُ أسارعُ الخطواتِ وحدي، وأسمعُ ما تقولُ النّاجياتُ الصّغارُ عنِ الجنودِ، عنِ الخيولِ التي داستْ نصوصَ القَمحِ فجرًا.

وما برحَ الطّريقُ بزحمةِ الخيلِ والسّرفاتِ والعثراتِ يحتاجُ تعبيدًا وأسْفلتًا جديدًا.
فقالتْ جوقةُ الجنّ المعاقينَ: نحنُ نُعبّدُ الدّربَ الذي سوفَ ينجينا بومضةِ صورةٍ في القصيدة هذهِ.
لمْ تعلمِ الجنُّ أنّ قصيدةَ الإيقاعِ لا تستطيعُ حمايةَ الأطفالِ مِنْ زحمةِ الفُرسانِ والرّجّالةِ الغابرينَ وصحبِهمْ. لَمْ يعلمِ السّاكنونَ بقريةِ الأعرافِ أنّ المياهَ شَحيحةٌ.
لمْ يعلمِ العابرونَ جفافَ حقلِ القَمحِ، لمْ يعلموا أنّ التّلوّثَ يجرفُ القَمحَ نحو نهايةِ النّصَ القَصير.

العراق

قصائد بنكهة الأنوثة

فواز قادري

شاعر يفكّر بامرأة مازالت في الفراش

أفكر بها؟
أفكرّ بالقهوة أم بالقصيدة
ناري تشتعل تحت ركوتها
ونار تشتعل بالكلمات
صباح عاصفة تكسر الأغصان
أفكّر بالحديقة وأشجارها
الحديقة بيتي الثاني
كلاب الحديقة أصدقائي
نساء يبحثن عن الحب
عجائز يزيّتن ميكانيك الجسد
بوجوه بشوشة بالحركة والابتسامة
لا أفكر بشيء
أحيط بكل شيء
قصائد بنكهة الأنوثة
روائح طيبة وشمس تضحك
مقعد خشبي عليه توابل قصص الحب
دموع نساء وحيدات وذكريات مرّة
لا أفكّر بشيء
الشعر في كل مكان
الشاعر يعبّ روائح المعاني
يلملم بأصابع روحه زهر القصائد.

على الباب

ليست هذه القصيدة التي كتبتها
من الذي يقرع إذن؟
أنت في حلم أم كابوس
خذ نفساً وافتح عينيك
أغنيتك بلا أجنحة وأنت تتفاءل
أين ابتسامة الشمس الصافية؟
رنين جرس خافت على الباب
عويل امرأة خائفة
أصوات زمجرة وصهيل
يختلط كل شيء
على الباب عاصفة متنكّرة
بغيمة تقرع بأصابعها المائية الهشّة
عشب طريّ ومبلل
كابوس بوجوه موتى محتملين
رحيل طويل في قافلة الليل
بعد كل هذا المطر والغيم
من الصعب أن تطل الشمس
إلى النوم أو الحديقة
خذ أغنيتك في طريقك
وارحل أيها الشاعر الأرق.

صباح بلا ضحكة الشمس

صباح فارغ اليدين ومجروح الحنجرة
لا شمس ولا غناء الكلاب
سرق شيئاً من الليل
شيء لم يُبك الأشجار
لم يمسح الغيم عن السماء
صباح حيرتي أبحث عن كلمات لا أعرفها
وجوه لا تعرفني وعشب مبلل بالشمس

صباح فارغ منكِ
تأخّرتُ ومشت الأغنيات أمامي
وهذا الربيع ضعيف بالحساب
خجول لا يطرق الأبواب ولا يوقظ الزهور
لا يذكّرني بمعصور البرتقال
ولا بخدود صبية قاربت النسيان وأستعيدها في القصيدة
بعض القصائد صالحة لكل شيء
تبتسم لكل عابرة وعابر
تمسح الكآبة عن الوجوه
وتدرّبني من جديد على الغناء.

من طريقي

طريقها من طريقي
فيء دواليها والثمار
تذهب حين أجيء
لا نلتقي مهما فعلت القصيدة لجمالها
شوق إليها بألسنة ومخالب
لا يأخذ ولا يعطي ولا يقبل النقاش
يفعل بي ما تشاء المسافات
كحل نساء وحيدات بعد الدمع
أظلل رؤيتها بالعربي السهل
تعرف رجائي وحنيني
بلغة لا تسيل على لسانها
تقول غدا
وتعني:
قد نلتقي في سنة أخرى
بحياة خالية من الثواب والعقاب
للشعر نكهة وللكلام أسئلة ورموز
من الصعب أن أتجاهل
أصير محطة على درب كل قوافلها الضائعة
أحفر بئري وأرفع غيمتي وأنتظر.

القصيدة

القصيدة كلمة واحدة كشجرة حبلى
نهر من صور وتعابير غير معروفة
إشارات فيها كل معنى ولا تدل على معنى
تطير طيورها وتغسل السماء بالأجنحة
تظلل العابرين وتتبارك بالشمس
كلمة نشيد أو شتيمة بعطر لطيف لعاشق نادم
زنزانة بنوافذ بلا جدران
رغيف لا يشبع ولا ينتهي
تضع رأسها على وسائد عشاق مؤرّقين
بأوجه كثير وجهات لا نعرف أسماءها
اسمها ليس اسمها
تسير معك في الشارع
تقاسمك فنجان قهوتك وكأس الخمر
تذكّرك بالعناقيد تذكّرك بالزهر والنحل الطنّان
في صحوك تشير إلى إشارات الطرق الحمراء
تنفّسك وأنت غارق في الحلم.

صاحب الحديقة

الظل صاحب الحديقة
يذهب الزائر ويبقى الظل
تنام الأشجار والطيور
يسهر في الليل
يعد أنفاس السكون وخطوات النجوم
في الصباح يلمّع الأغاني
ويصبغ شفاه النساء بالشهيق
نفساً نفساً يطمئن على شعب الحديقة
يغيب ويعود يتحرّك دون خوف
لا أشباح موتى
لا قتل لا عسكر ولا رصاص

يشهد الشاعر ويلعن الحرب
يذكّر بالحب إذا نسي الناس
امرأة ثمرة العيش فاكهة الوجود
وردة الحديقة سلسبيل عطرها
خبز ماء مطر وسنابل
حرية كثغاء الحملان
يلغي الحدود بين زهرة وظلها بقصيدة الشمس.

أشجار متفائلة في الحديقة

أشجار معافاة أوراق فتية
تتفحص كل شجر بشجرتها
تبحث عن أعشاش جديدة
شمس في الحديقة
دفء صباح ونفس مفتوحة على الحب
ظلكَ يمشي معك
"ليلو" يتبعك أو يسبقك
عشب مبلل بالضوء
نساء بنات يتوزّعن كأزهار الحديقة
ليس هناك أعذب من ذلك
ثمار المعاني وموسيقى السكون
قصيدة ثمرة خطاك الأولى
قدماك على الأرض
تتفحّص تكتشف تحلق
انشغالاتك تتساقط على الطريق
بداية نهار يتلألأ
يفتح النفس على الحياة.

سوريا (ألمانيا)

مثل نمر في حقول اللغة،
مثل سنبلة تحت منجل فلاح.
إيناس العباسي

قلبي يفيض بمياه الشك والأسئلة
مثل سد تُرفع حواجزه فتفيض مياهُه
يغمر الأرض، الحجارة، النبات والكائنات
مثله أفيض
وتفيض أفكاري مياها تكاد تجرفني.
يوقظني الألم
يضرب مثل كهرباء الصاعقة
إذ تعبر سماء المدينة فتقسم جذع الشجرة ويضيع نسغها هباء
يضربني الألم
فتوقظني شهقتي من سبات حياتي
تنفر عروقي بشوقي للغتي الأم،
لغتي الماء، لغتي البيت والنهر والجبل والغابات والبحر والرمل والنخل
يضخ الألم شحنة كهربائية عالية في دمي
فتندفع الكلمات والأفكار
في رقصة تتزاوج فيها المعاني
تتضافر الأفكار والكلمات
مثل كروزومات الخلايا الجينية لتُشكل معا، لغتي.
بينما تتجعدُ صفحة ليلي
مثل ورقة في قبضة طفل غاضب
تتموج المعاني
ويتشكل لحم القصيدة من أسئلة جسدي:

الخوفُ من سن اليأس (خرافة تسميته بسن الأمل لن تُغير من حقيقة الأمر شيئا)،
الخوفُ من العمى،
الخوف من النسيان،

الخوف من البقاء مستلقية على ظهري إلى ما لا نهاية.

أحاول الهرب فأتخيل:
أتخيل المعري وفريدا كاهلو يتقاسمان شرب "المتّة"،
أي حديث من الممكن أن يتبادلاه؟
بينما أسمع "طقطقة" حلقات عمودي الفقري، كلما تحركتُ
أصيخ السمع
فأنتبه للحركة الخافتة للكائنات خارج البيت في الساعة الثانية صباحا.
قطط الجيران وكلابهم، الطيور المستكينة في أعشاشها
أهرب فأتخيل حيوانات خرافية تعيش في حديقتنا،
تخرج من مخابئها لتغير العالم.
عيناي منفتحتان على الظلال وعلى ذكرياتي التي يغلفها الندم،
أتذكر كل مرة أجلت فيها الكتابة
فتتدافع الصور في دمي، تحرقني أصابعي
أكتب في هواء الساعة الثانية صباحا
أحرك السبابة
أبني القصيدة كلمة كلمة في العتمة
أكتبُ لأنني خائفة
من العمى، من العجز، من النسيان،
أنا العالقة بين لغتين
أتمرد وأعود للغتي الأم
أعود عطشى
لأرضع بلهفة من حليبها الحلو والمُرّ
أعود تائبة
حافية على طريق الخطايا
أمشي على أشواك الندم
وأمنحُ عطايا للغتي الأم:
وقتا أسرقه من ساعات العمل اليومي،
أقرأ لنفسي بصوت مرتفع قصائد مذهلة تتحدث عن الحرب العالمية الثانية
أقرأها للجدران الصامتة التي تطوقني،
أقرأها كي أمحو ساعات النهار الطويلة التي أقضيها في النهر البارد للغتي
المُتبناة،

أقرأ لأسمع وقع اللغة وهي تُطوّع حديد الحرب والدبابات والرصاص والجثث،
وتحولها لنجوم بعيدة في السماء وقواقع منسية في أعماق البحار.
أقرأ بصوت عال كي لا أنسى الكلمات ووقعها،
مثلما أقرأ كي لا تنساني اللغة.

لغة الضاد يسميها الجميع، الآخرون
ولغة الألف أسميها، أنا
أنا فرحة بالكلمات والحروف
تماما بالضبط مثل فرحة طفلتي حين تعلمت الكتابة
أول كلمة كتبتها، اسمُها
وتحتها بخط كبير وواضح
أضافت ببطء سطرا من كلمتين
بيُسراها:
"أحبك ماما"
أنا فرحُ الخط إذ تشكل بالكلمات أول مرة
أنا فرحُ كلماتها على الورقة
وابتهاج ابنتي التي ركضت بعدها بخفة لتلهو بكرتها الزرقاء.

إنها الساعة الثانية صباحا،
أنبأتني دقتان من الساعة الحائطية التي ورثناها من صاحب البيت السابق
يقع بيتُنا
أقصى المدينة
لحسن الحظ أو لعبثه
هنا حيث يقطن إخوتي في اللغة
المهاجرون العرب من الجيل الثاني والثالث
وللمفارقة هنا لا يتحدثون إلا نادرا لغتنا.
هنا حيث يغلف السكون القرميد والحجر والبشر والكائنات،
ما عدا
جسدي الذي يئن مثل بيت يتهاوى
ضغطي ينخفض بطريقة مذهلة
كأني شربت نصف قنينة عرق في نفس واحد
كأنني دخنت شيئا للهلوسة

لم أعد أريد إلا شيئا واحدا: بينما أتهاوى ويداي تحاولان التشبّث بالستائر
أريد:
الركض في حقول اللغة
أريد التشكل سنبلة في حقل من حقول "مطورة روما"،
سنبلة لا تخشى منجل الفلاح
ولا مرور العاصفة
أنا مثل نمر حُمل عنوة من البراري
وزُجّ به في قفص
يحلم النمر خلال قيلولته اليومية، بسهول البنغال القصية
بالمطر خفيفا ينهمر فينعشه
يحلم أنه يندفع وراء فريسته
مثل سهم حُرّر من قوس الصيّاد
يغفو النمر في قفصه متشبثا بفريسته
بينما أتحول أنا
أصبح الحلم، السهم والقوس والفريسة.
إنها الثانية صباحا،
والقصيدة جسد يتشكل من لحم ودم
تُشرع الأسئلة أبوابها ليلاً،
من أنا اليوم، يسألني الحنين؟
من أنتِ؟
لا شرقية
ولا غربية
يجيبني خوفي من الزمن.
إلى أين تمضين؟
يسألني الخوف من سن اليأس (خرافة تسميته بسن الأمل لن تغير في الأمر شيئا)
الخوف من العمى،
الخوف من النسيان،
الخوف من البقاء مستلقية على ظهري إلى ما لا نهاية.

تسألني فساتيني، العطور وقلم الكحل وأقلام الحمرة على طاولة الزينة
أين تذهب الرغبة؟
وكيف يتلاشى الوله؟

مثل بوّابة قديمة تُفتح بصعوبة
يستيقظ ألم جسدي في صرير عال
أتشبث بالستائر قبل أن يغمى عليّ
بينما أبتهل لله بأن لا أنسى كتابة هذه القصيدة
بلغتي الألف.

مايُو 2023

تونس (جنوب فرنسا)

قصائد

كمال جمال بك

مثلما ضيَّعت أصحابك ضيعت الحساب

لهْو أيامِكَ من رعب لياليكَ
على تختٍ صموتٍ
فوق نهر من دمٍ لا يستريحُ
وعلى أكتافه شعبٌ ذبيحُ
خذلته الرّيحُ في جولاتها
والأرضُ _ لما غرّبتْ رجلاكَ _ ألفتكَ بعيداً يا غريبُ

لم يكن منفاك طينا وخياما
غلوةً من سكرات الموتِ
بل كان ضياعا وانفصاما

نصفَ نهرٍ
نصفَ شمسٍ
نصفَ أحلامٍ
على مصطبة الوقت، ولا سبورة،
لا حائط ترسم بالطبشور وجه امرأةٍ
يشبه حَبَّ الآس في حنطة كفّ الشام،
أو مشيتها دائمة الخضرةِ
لا صفّ، ولا مدرسة،
لا بلد يشبه ما يشبهها

لا ذكريات بين ما ضاع من النصفِ الذي ما ضاعَ
في النصف الذي ضاعَ
على أنصاف عيشٍ لا يبوحُ

"يا غريبا كن أديباً"

فالحكايات _ كما تعرفها _
ليست رواياتٍ لها شبه نهايات سعيداتٍ
كقول الجدة الطيبة السمحاء
للأحفاد: لو كان لنا بيت قريب
كنت أحضرت لكم كيس هدايا
ومرايا للصبايا

يا غريباً كن غريباً
كن غريباً
يا غريبُ

السويد 2023/02/01

مع زفير الغياب

ننسى
كما تنسى السلاحف أغنياتِ الحقل،
في برد الشتاء مع السُّبات،
كأنّنا من غير طين الأرض قد نبَتتْ لنا
آذان من ذكرى خيالاتٍ
لها جدران من شمع،
ولا صمت يشقُّ الكهف من ألمٍ
ولا دَرَج لتصعد صرخة الموتى
إلى نجم تستّر خلف آلهة الخراب
****
ننسى...
ذواكرنا كما الأسماك،
لا تحتاج فرمتةً،
غبار الكون فيها
شبه إنسان من الآلات قد هلكت على صدأ العذاب
****
ننسى
لنشكر نقمة النسيان،
لا أقسى

من استعباد وطأته
على الأنفاس في سفن بلا شطآن
****

السويد 17-01-2023

الطّريق

تنسى الطَّريقَ إلى مِهادِ الأَرضِ
لا بلدٌ لها لونٌ على وجهِ البسيطةِ
لا ينابيع الدَّفا، أَو مرج سُقيا رحمةٍ
لا شكل إِلَّا الهيكل العظميّ يمشي
في مفارقها وتذروه الحياةُ
و بلا ملامحَ لا سهول على الخريطةِ غيرَ ما أَعْشَبْتَ
في إِشراقةِ الخلواتِ
غيرَ الطَّعمِ من مُرّ الضَّغينةِ
حين يَهْزِمُكَ الطُّغاةُ
****
تنسى الطَّريقَ وتضحكُ
هل كان أَحلاما وآمالاً وأَحجاراً وإِسمِنْتا؟
أَم كان أَخْيلَةً وأَوهاماً وأَرصفَةً وإِسفلْتا؟
هل كان طيناً أَم تراباً
دَغْلَ أَشعارٍ وأَشجار من الرُّمَّانِ والصَّفصافِ، أَم وادٍ من النَّغماتِ واللَّبْلابِ
والبَلُّوطِ.. تضحكُ؟
ها هُنا وردٌ يشيرُ بعطرِهِ صوبَ الشَّمالِ
ثمارُ هالكةٌ من التفَّاحِ مَنْحىً للجنُوبِ
رياحُ لا غربيَّةً أَنسامُها
مثلَ الصَّبا شرقيَّةٌ
ريشاتُ طيرٍ هائماتٌ حول أَعناقِ التّلالِ
و تضحكُ
****
تنسى لينساكَ الطَّريقُ
كلاكُما طيفٌ من الأَقمارِ غائرةً
ببئرٍ لا دِلَاءَ لهُ

ولا أَسرارَ تطفُو من مناهِلِهِ
- الطَّريقُ مُذكَّرٌ ومُؤنَّثٌ.. والبئرُ أَيضاً؟
* مِثلَهَا
صنوانِ أَو ندَّانِ، في لهوِ الوجود
كلُّ الجهاتِ لها إشاراتٌ على أُفُقِ المدى
ولها مع الأَرجاءِ هَسْهَسَةُ الكلامِ ودندناتٌ للصَّدى
: إنَّ الطَّريقَ قصيرةٌ ولها حدود!
- أَنَّثتَها من بعدما ذكَّرتَهُ؟!
* ثوبُ الطَّريقِ مُحَيَّرٌ وبلا قيود
****
في الهَمّ: إن كانَ الطَّريقُ بلا رفيقٍ
كُنْ رَفِيقَكَ
كُنْ طَرِيقَكَ
كُنْ كما ولدتكَ حُرَّاً نخلةٌ، كُنْ نخلَها، نهراً لها، وأَباً وأُمَّاً
بعدما كنتَ المُدَلَّلَ طِفلَها
كُنْ بهجَةَ الإصباحِ والإمساءِ في سكناتِها
تنسى الوجودَ وتضحكُ
لا شيءَ يُوصلُ للطَّريقِ غداً سواكْ
فاخترهُ وانثُرْ فيهِ من حُبّ خُطاكْ
إنَّ الطَّريقَ هُوَ الطَّريقةُ،
فاتَّبِعْ خَلجَاتِ قلبِكَ
إنَّ مَأْثُرَةَ الجنُونِ لخَيرُ بُرهانٍ
على العقلِ اللَّدُود

السويد 2021/07/16

نوافذ

لقمان محمود

الحب دائماً عاقل
لهذا السبب:
العشَّاق مجانين.
**
تبقى الفراشةُ أميَّةً
حتى تتعلّم
قراءة النار
دون أن تحترق.
**
من يفتخر
بأنه يملك الجذور
سيبقى دائماً
تحت التراب.
**
أراقبُ الثلجَ
لأحسَّ بألمهِ
وهو يذوب.
**
عندما تعضّ القيود
لحم الحرية
لا أرى الأمل
إلّا يائساً.
**
الكره،
حب وصل إلى
طريقٍ مسدود.
**

إذا ماتت الحرية
تصبح الكلمات
مجرّد جثث.
**
كم هو كبيرٌ حلم المطر
لكنه لا يملك خياراً آخر
سوى الهطول.
**
صدِّقيني
حتى ولو كنتُ زهرةُ العبَّاد
سأدور نحوكِ
لا نحو الشمس.
**
الجوع المتوحش
داخل القمح الخائف
لن يعرف الخبز أبداً.
**
تولد الانتصارات
- على الأغلب - كسيحة
لذلك
لا تعمِّر طويلاً.
**
لا أثر للجنة
فلولا الوهم
لكانت الحياة جحيماً.
**
العمر
طموح
بقدر ما هو يافع.
**
لو كان الشر
أقوى قليلاً
لأصبح قاتلاً.

**
السعادة،
أن لا تخبر أحداً
بأنك حزين.
**
الحجلُ،
ألمٌ كرديٌ متنقِّل
في القفص الصدري
لعظامِ كردستان.
**
من إيجابيات الأحزان
أنها تحافظ
على الذكريات
من الشيخوخة.
**
في الثلج الفرحان
يستطيعُ المرء
أن يجد بعض الدموع
لغيمةٍ حزينة.
**
الشيخوخة،
تعبٌ
في عمر الأيام.
**
الحب جسرٌ ثابتٌ
- بدايته كنهايته -
فوقه تمشي الجراح
لتزداد دماً.
**
أمام شيخوخة المرآة
تبدو التجاعيد نضرةً
في وجه الخلود.
**

كلّما تخثَّر الدمُ
بكسلٍ على الجرح
فكِّر الألمُ
بشيءٍ آخر.
**
الدمعةُ،
في أغلب حالاتها
دمٌ يبكي.
**
يأتي الظلام
من الأسلاك الشائكة
:فكل معلوماتي عن الحدود
أنها تراقبُ
الآلام المتبادلة
بين الأكراد.
**
جنودٌ أبديون
يرصدون أرواحاً زرقاء
في الهواء الكردي
كي يضيفوا
مقابر أخرى للذاكرة.
**
إلهي
قليلاً من الحكمة
كي لا أورّطها في الحب
إلهي
قليلاً من الحكمة
كي لا تحبْ
إلهي
جمالها يهذّبني.
**
ما أتذكَّره أيها الليل :
تنساهُ – دائماً – على طاولتي.

ما أكتبه من نهار
تمحوهُ – دائماً – بنجومك.
فماذا بوسعي أيها الليل:
الطاولةُ تنطقُ
ومكتبتي تبكي كتاباً.. كتاباً.
**
واقفٌ بأعواميَ الأخيرةِ
أُسوّرُ الأغنيات كبستانيٍّ
لامرأة من الفاكهة
لكنَّ الهواءَ مرَّ أخيراً
مرَّ كسؤالٍ أزرقٍ
إلى حيث البحر
فصرتُ أمشي.. أمشي
وما زلتُ أمشي على الماء
ولم أتعلّم الغرق.

***(شاعر كردي - سوري مقيم في السويد)**

قصائد قصيرة
تنـگزار ماريني

1

صوت أنين كمان أورفيوس

هل لجسد الريح هذه مسافة تكفي الهروب؟
تمضي الأيام، الجدران تروض البرد،
وما بيني وبيني كل الغبار
الباب والمقبض يبعثان على القلق
الحكاية في تلك الحلقة ...
من الذي أكونه؟
هل أتيتَ بهذا المطر معك؟
كنتُ جرسًا ساقطًا في صمته
صرخة من قيامة الحزن هذا
واحمل فضاءً مظلمًا وملتويًا
كان أورفيوس يفتش بين صفحات وأخرى،
صمت لا رفض، لا قبول،
وبيت يشبه بيت أفلاطون يرخي الليل فيه سدوله بخفة
بدت لي الأغنية غريبة كذلك الأنفاس،
وما أن وصلت البيت كان ضباب الليل قد حول كل شيء إلى سر
كان الزمن يضيق على الليل
وتُرى أشكال الورود كافة حتى السوداء منها
باتت ندية بفعل الصباح

2

الخريف في ضوء الشعر

الغيوم يتبع بعضُها بعضا
شِعر
هل حان الوقت للبحث عن نفسك؟
خريف.
أعود إلى نفسي
قل لي قلبي
من ودعت ومن لم تودع؟

لا أعرف ما إذا كنت قد انتقلت
أو أنت
سماؤنا زرقاء وسوداء
يقترب البرد والصقيع في بعض الأحيان.
أحيانًا أتذكر دموعك.
ذاكرة؟
مع الذكرى جاء الألم.
لقد كانت رحلة طويلة
سعيد أنت وحزين
أبكي
كنت هناك البارحة
فجأة
ظهرت اليوم من العدم
آتي اليك
إنه ضوء خافت
تجوّلت عيناي
ذات صباح باكر
الأسطح هادئة
جاء الحزن، وهجر الأزرق
يرتجف المساء في ظلام دامس
وراء ذلك الظل
حان الوقت لأقول وداعا

3
الفجر والألم المغطى

هل الكلمات كافيةٌ لوصفِ الألم؟
باستطاعة النافذة احتضانَ الريح الهادئة؟
تفتح الابتسامة قلبها؟
يزرع السؤال بذوره؟
تفوقت العواطف على الواقعية؟
بإمكان الحلم تنويمي؟
سواء نعم أو لا

شعري
- لملمني
- لا يستبعد نظراتي الحادة
- لا يهدئ من روع مشاعري
يزيل جميع الصعوبات من الطريق،
يفتح كل الآفاق،
يضع أصبعه على الجرح.

4

ماذا أقول

هلا أنت أيضا
وحيدة مثلي؟
لا أعلم من منا سيتكلم
ومن يبقى صامتا؟
هلا تذكرت لقاءنا الأول
عندما تساقطت الأمطار
شوارع هذه المدينة
في أحلامنا
ضحكاتنا
لامبالاتنا
ثملت
توقف الزمن
التقت النظرات
ذكرنا الصمت بالخوف
في تلك الليلة
أسرعت دقات الفؤاد
الآن تمطر
وأنا أغرق في داخلي.

ألمانيا

كعشبٍ يضيءُ ظلالَ الكمنجاتِ

نمر سعدي

(1)
لا وقتَ لديَّ
كيْ أقفَ أمامَ ابتسامتكِ واصفاً إيَّاها بأقلِّ عددٍ ممكنٍ من الكلماتِ
لا وقتَ لديَّ كي أقفَ أمامَ صوتكِ الشبيهِ بتأوُّهاتِ الأشجارِ
ولا أمامَ جمالكِ المسافرِ في الريحِ الخضراءِ
كيْ أجمِّعَ من حبَّاتِ المطرِ عقداً لإحدى أميراتِ الغجرِ الفلسطينيَّاتِ
فالحالمونَ دائماً مسرعونَ في ركضهم الدائريِّ إلى الوراءِ
خلفَ ظلالِ نساءٍ بطعمِ الملحِ وحبرِ الفراشاتِ والقُبلِ الجارحةِ
*

(2)
الروحُ في مرمى وصالكِ شعلةٌ
والشوقُ في مرقى جمالكِ سلَّمُ
واللهفةُ العمياءُ تبصرُ نورها
ودليلُها في ليلِ مسراها فمُ
حمَّلتُ روحي وردةً علويَّةً
بأصابعِ الشغفِ المضيءِ تُرمَّمُ
ليلي طويلٌ بعدَ ليلكِ سرمدٌ
وقصيدتي حبقُ المياهِ يغمغمُ
المريماتُ جميعهنَّ قصائدي
في كلِّ حُبٍّ تحتويني مريمُ
فبأيِّما دمعٍ أضيءُ فأهتدي
وبأيِّما لغةٍ أقولُ فأُفهمُ؟
وتويجُ قلبي والشفاهُ كأنَّما
ملحٌ يربُّهما ورملٌ أبكمُ
*

(3)
لهفةٌ في دمي للكمنجاتِ تعبرُ ليلَ الشتاءِ الطويلِ
بنعلٍ من الزنبقِ الجبليّ...
هنا مطرٌ في نهاياتِ أبريلَ.. أخضرُ يا امرأةً خصرُها لنحيبِ الكمنجاتِ في الليلِ
ضحكتُها للينابيعِ.. مشيتُها للأيائلِ.. لهفتُها للأغاني.. ضفائرُها للسنابلِ أو
للشموسِ..
تعالي أكبّلكِ بي وأحرّركِ منّي ومن شغفي الأبديّ.. تعالي..
فكم تشبهينَ سنونوَّةً في الظهيرةِ ضلَّتْ طريقَ الرجوعِ إلى عشِّها
أو قصيدةَ حُبٍّ تنامُ على مقعدٍ في الحديقةِ
وهيَ تغطّي ابتسامتها باخضرارِ الشتاءِ
كوردٍ يُغطّي شفاهَ النقوشِ..
كعشبٍ يُضيءُ ظلالَ الكمنجاتِ في الليلِ
أو كصدىً ليسَ يُسمعُ في بيتِ شعرٍ قديمٍ ..
دموعُ الكمنجاتِ منقوشةٌ في يديَّ كشمسٍ خريفيَّةٍ
كعناقٍ طويلٍ على ساحلٍ.. كصدىً في جبالٍ..
كغمغمةِ الغيمِ فوقَ الترابِ...
*
(4)
هل صرتُ منكِ وصرتِ منّي
متتبّعاً في الليلِ طيفي في السحابةِ
أو ظلالَ خطى القصيدةِ والتماعاتِ الضبابةِ في الخريفِ ..
لمن أغنّي يا حياةُ.. لمن أغنّي؟
وأنا الذي مذ كنتُ..
منذُ نعومةِ الأظفارِ تولدُ بي الأغاني المستحيلةُ
في سماواتِ الجليلِ..
أنا الوحيدُ.. أحبُّ روحكِ أو أريدكِ فاحتويني
واجمعي روحي من الأرقِ الموزَّعِ في الزهورِ وفي السرابْ
*
(5)
قبَّلتُ ألفَ ضفيرةٍ شقراءَ ..
لم أقرأ جمالَ الصيفِ بعدُ ولم أخطَّ قصيدةً عن وردةٍ طارتْ لأنَّ أصابعَ امرأةٍ
تناديها..

ولم أكتبْ عن امرأةٍ من المطرِ الخفيفِ
وتشبهُ العشبَ النظيفَ على نجومِ الصبحِ
أو صوتَ النسيمِ وصوتَ فيروز المضيءَ كدمعةٍ.. وقصيدتي البيضاءُ تشبهُ عريَ عينيها
وتكتبُ أيَّ شيءٍ.. أيَّ شيءٍ عن كآبتها وسرِّ حنينها المجهولِ
خائفةً من الأيَّامِ أو من وقعِ شيءٍ ما يوتِّرها كخيطٍ في أغاني الماءِ، شيءٍ لستُ أعرفهُ
ويشبهُ في المدى نسراً خرافيَّاً يراقبُها.. وهاويةً على موج الهوى الغلَّابْ
*

(6)
أحبُّ صوتَ البحرِ الذي يأتي من قدميها وأصدافِ يديها
أحتاجُ حبَّها لتكتملَ القصيدةُ فيها
كانَ جسدُها معجوناً بالأمطار الاستوائيَّةِ وعطرِ المانجا والموزِ المكسيكيِّ
وكانت روحها تحملُ كلَّ سحرِ الأمازونِ وكلَّ أمجادِ كرةِ القدمِ والحضاراتِ العظيمةِ الغاربةِ
*

(7)
مطرٌ ينسابُ على الليلكْ
والليلكُ خمرٌ ينسابُ
والخوخُ من الشهدِ المنهكْ
والتوتُ على الشفةِ رضابُ
*

فلسطين

سليم بركات يكتب بالكردية
إبراهيم اليوسف

1- ترجمة:

دون استئذان
باغتتني كتبي
واحدًا وراء الآخر
وهي تريني كيف أنّها
تحولت إلى لغتي الأم
دون أن يترجمها أحدٌ ما
وحين استيقظت من حلمي الجميل
لأقرأها وأجدني ذلك الطفل الصّغير
الصّغير
الذي عرفته
قبل خمسين عامًا.....!

2- إصدار:

ذلك الأنين السرّيّ البليغ
ها أنا أعكف على إصداره
في طبعة
جديدة.....!

3- خريطة:

ما زال ذلك النّاقد الحصيف
يفغرُ فاه
منذ اكتشف بعد طوال التنقيب
خريطةً كاملةً من أناس
وجبال
وسهول
وأنهار
وتواريخ
في قرارة هذه الدّواة.....!

4- كائن الشعر:

عندما فرغت من إطلاق
آخر رصاصة
على آخر قصيدة لي
وجدتني- هكذا- كما أنا الآن
تمامًا
أسبح في هذه البركة
من الدماء

5- تصريح:

لم يتمّ القبض عليّ
ليلة أمس
كما جاء خطأ في نشرة الأخبار اليوميّة
كلّ ما في الأمر
ثمّة رواية لي
-للأسف!-
هي التي وقعت
في كمين غادر
قرب مدخل مدينة أسيرة
دأبت على قراءتي.....!

6- أسطورة:

كان عليَّ أن أنفي
كلّ ما قيل
حول"مجموعة شعريّة" سابقة لي
إذ أكادُ لا أصدّق شخصيًا
كيف أنها
تحوّلت ذات صيف لاهب
طويلٍ.....
إلى غيمة
ماطرة.....!

7- قراءة:

حين أعود غدًا.....تحديدًا....
إلى مسقط قصائدي
سأكسر كلّ أحلامي
وأحرق كلّ دفاتري
وأقرأ وجه المكان.....!

8- "فقهاء الظلام":

هم أنفسُهم
شخوصي
هؤلاء.....!
نجوا من المحرقة سريعًا
تاركين وراءهم الرواية
تحت أنقاض الرماد.....!
دمشق 5-10-2006

9- روح:

ها أنا أحكم إغلاق الباب عليَّ جيدًا
كي أراني
خارج غرفتي
كما كلّ مرة.....!

10- الشاعر:

أنا الذي أعرف عناوين أبوابكم
أوزّع عليها ظلالي
لتقرعها بأصابعها الشّفيفة
كي أدخل
ولا أدخل.....!

11- قصيدة:

مصيدتي في العراء
ثمّة قصيدة جديدة

انطبقت عليها
شفتان حديديتان
وحلقت عاليًا
صورٌ لاتشبه الصّور...!

12- في انتظار رسالة!:

قبل ثلاثين عامًا ونيّف
كانت لمدينتي صور شهيّة في ذاكرتي
قبل عشرين عامًا
كانت الصّور نفسها لا تبرح دمي
قبل عشرة أعوام
خمنت أنّ مدينتي لا تزال تحرس لعابي
وألعابي القديمة.....!
قبل سنة
قبل يوم
قبل ساعة
قبل قبلة.... قريبة.....
آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه
كتبت إلى مدينتي..... تلك.....تلك.....!
ولمّا تردّ عليّ.....
لمّا تردّ.....!

قامشلو10-10-2006

سلامٌ على ذاكَ الوحيد

فراس حج محمد

1

أصحو باكراً جدّاً
رأيت أبي يضحك في وجهي
يصافحني
أقبّل رأسه
وأسأله عن حاله:
يمرّ أمامي مثل نور بهيٍّ
يخطو كأنْ لم يفقد الكلام والمشيَ منذُ ثلاثِ سنينْ

2

أصحو باكراً جدّاً
تدقّ الساعة في رأسي
في العتمة التي تحيط بي، تأخذني إلى ملاذي الأخير
زوجتي عن يساري
وطفلتي الصغيرة غافية بسلام كبير
هادئتان تماماً مثل ظلّ القمر
أتفقّد الوجهين في العتمة السائلةْ
أقبّل الوجوه الثلاثةَ باضطرابٍ غريبْ
أسمع صوت الله ينادي للصلاةِ
أرى أبي ثانية يساندني لأقفْ

3

أصحو باكراً جدّاً
الوقت بعد الثانية صباحاً بقليلْ
يبادلني الحزنُ أطرافهُ
ويقيم فيّ حفلتهُ
نبكي معاً على ذاك الجدار الذي ظلّ يسندني خمسين عاماً
ثم غاب في ظلال الأمكنةْ

الصورة الآن واضحة يا أبي:
وحيداً صرتَ
ومثلكَ صرتُ وحيداً دون أبٍ صديقْ
دون نهر وغناءٍ
دون وقتٍ وحكاياتٍ ودليلٍ وطريقْ
الصورة الآن واضحة يا أبي:
كأنّك حيٌّ
بل إنّك حيّ وحيّ وحيّ

4

أصحو باكراً جدّاً
أرتّب الوقت كما يحلو لحزينٍ جرّه الموتُ لأطياف الحنينْ
كأنْ لم يغب عن المشهد الكليّ أيّ أبٍ منذ آدمَ حتى آخر لحظةٍ من عمر هذا الكونْ
أحدّث الزملاء عن "أبتي"
فينشرح الوجهُ تارةً
وتارة يغلبني الطينُ والقدر الإلهيُّ وأنفاسُ قلبي المثقّب بالأنينْ
ينحدر الكلام على شفتيّ
نسقط في الصمتِ
وحدها العينان تأخذ بالحديث الشجيّ
عن الذكرياتِ والوجعِ الشقيّ

5

أصحو باكراً جدّاً
يأخذني الوقت والتاريخ والذاكرةْ
مرّ شهر يا أبي
عاد الجميع إلى عاداتهم
أفراحهم
أعمالهم
لكنّ- وحدك- قد بقيت هناك تحت الشجْرة الخضراءَ
تنبت في أعالي الشجرةْ
غصناً فتيّاً ونديّاً وجديدَ الورقةْ
مثقل الأغصان- يا أبتي الرضيّ- بشهدِ الثمرةْ

6

أصحو باكراً جدّاً
يأخذني المكانُ الطاهر المبتلّ برائحة الجسد المسجّى كالعقيقْ
تحدّثني يا أبي عن:
كيف أعدتَ ترتيب المكانِ في الحفرة الطيّبة
وكيف صادقت جيرانك الطيبين في المقبرةْ
وكيف صرت تبني الحكاياتِ لهم فقرةً، فقرةْ
كي لا تشعرَ –مثلي- بالوحدة الجارحةْ

7

أصحو باكراً جدّاً
لا أعرف غير وجهك الضوئيّ في هذا الظلام المخيفْ
سلام عليكَ أباً لا مثيل لهُ
في الفرح
والحزنِ
والراحلينْ
سلام عليك- أبي- إلى يوم أن يلتقي الطيبون بالطيبينْ
طبتَ حياً خالداً في الخالدينْ

كانون الثاني 2023

فلسطين

قصيدتان

ميشلين مبارك

1- حفرة عميقة

أحفرُ عميقاً في الحفرة الوحيدة المتبقية
نقطة تحولي هناك
هناك حيث الإنسانية تجمع
والهمس ينادي الحياة
...
رحلة بعيدة
وحشةٌ وبردٌ وظلام
فهل نعاود الإتصال؟
هل تشفقون علينا...
نحن الغارقون في الـ هنا
وأنتم الناجون في الـ هناك؟

2- تمرد المعنى

في وطني
حيث الليل يتمرد على النهار
والمعنى يتشرد في تجاعيد الزمن
هل أظل غريبة!
وأتخفى في مخدع القصيدة؟
هل يضيء النور غربتي
وأنجو من خيبتي؟
من أين أبدأ؟ والأوجاعُ أكلت شعبي
كلّ بيت يأوي مرارة
أجمعُ الحكايات والدموع لا تحصى
تتنهد الأرض وأنفاسنا مجروحة
كان في نيتي أن أغير العالم
فلم أستطع سوى
البوح في سرّه

تشظّ
فاطمة حاسي

1
بين فينة وأخرى،
تتشظى ملامحي
وهي ترتسم على زجاج مضبب
لمرآة عتيقة،
أجمع أهدابي التي تفرقت
على أسطح ملساء
لأصنع مجددا،
عينين بلون الحياة
أرسم فما مبتسما
وأكسو البياض
ببعض الحمرة
أغامر،
وأنا ألملمني من حواف متصدعة
كمن يُجمِّع أنفاسه
في لعبة puzzle غامضة.

2
بشفافية الماء
وهو يعبر أرضا
يكسوها الزجاج
أتمايل على جسر مربوط
إلى غيمات لا تمطر
أرتعش،
وأنا أعبر بخطى تائهة
قلبي المدسوس في صدر

لا يلوح للمدى ،
يغفو بمحاذاة ذاكرة لا تنام
كلما اقتربت من القفزة الأخيرة
تعثرت بك /بي.

أتشظى
كمرآة
رماها
الليل

بوجه
عبوس

مهر الكهولة سنام النمل

بادر سيف

ذلك الفيء المعشش في ظلام المسامات
تلك المدينة الآلة حزام العشب
تلك المشقة في نبش قبر الخبز
من حجر العشق
من ثوب يتبخر بفعل السؤال
أمشي إلى نهايات الأسماء
أنادي خرم الشمس لتهبط
إلى جمر الرمل
تخنق من رمى على شباك الحلم
أشلاءه ونام
ذلك الباب باب الأبدية الموصد
أحرر منه لغة الأضداد
أنسج من ثناياه نهدين
كديكين لنزف الوقت
أهرع إلى تيس الضوء الساكن
أقبية الثورة
لأوقظ القرى الملتهبة
وفق مدارات وجوه قديمة
تنبجس من غيم الشجر
صوب خوذة الأرض
هبوط إلى أقانيم العشق
ثم أسوي من زمن الطير يباس
القش...
أبدأ برمل النوم أحمله بمقاصير
الهدي
أكسر عظمة الأغاني الراعفة
أمشط زغب الدهر المتناسي
لمشيئة الأبجدية

المقهورة
المتوارثة
لجلد الأشباح
أنحت من عيون السماء ترانيم
لحفر تنزّ دما ودمعا
أكنس فضة الأطراف المترامية
صوب جلد يلسع حلم الشقاء
يستنزل كتب المفاصل المتراصة
بمنحدر الوقيعة
لاهثة في هجرة الأسماء
متشحة بطيور الدهشة
أقلع هيبة السؤال المضمر بقش
البدايات
أفلح في وشم أرزة الاشتعال
اشتعال الركض خلف مهر الكهولة
وسنام النمل
فيا أيتها الرمال الزرقاء الخالية من وساوس
الفصول مدينا بعشب يطلع
من مقيل الحكمة
أيتها الأيام يا أبجدية المنبوذين
رعب التاريخ
أسالك الرحيل / لسنا في حاجة إلى تكرار
صليل التوابيت
فنحن على عجالة نتفقد
نسر الظلال
أيها المقيل اللذيذ اللذيذ
لا توقظ خيولنا العصية لنضطر للرحيل
فنحن غبار مدن عابر
وقصائد من مربع ماء راكد
أيها الليل يا باب الضيافة والحلم
كسر أنياب الفجيعة فجرا
فالأطفال على عجالة من أمرهم
يسرقون خوخ نملة صائمة

ونحن نعد حناجر الشواطئ
المتيبسة
أيتها الانجم الصادق عشقها لصراخ
الأعنّة
إن المطر أمسكه رأس اللغة
فلا تقسمي رغيف الطمس
يا لغة الخيل
وشرفات الدهشة
إني أتشبث بشرفات الأزقة
لا أستسلم للريح
لتمر الطلقة تستنبت سباحتها في
شعر المهاميز
إذن، لمَ أشكو زماني لزماني
أشكو فضتي لهواني
كنسر مكسر المخالب يأسره وتر
الصبوة...
يلهيه عن صف مضى والنهار
إذن أعود إلى سرة التمرد
إلى وجه الله
إلى غرابة الأمسيات
كما تعودت أعد قطرات الذهن المتلألئ
من عسجد النضج
أعود الى كهف الوساوس
إلى شخوص الزنار واليتم
أعزي جوهر الصداقة الهاربة
إلى شمولية الفارس
أعزّي
تناقض الموج لما يغازل
خلجان الطيش
يا صديقي، يا خابية الوهم
تنفس بداهة الطوفان
حيث يتفجر الفلك بصوان
من دوالي الصدق

من أعاجيب اليوم مستندي إلى
دموع يمامة
كلا، كيف يتجول الغبار إلى صدور
تئن على مخدة النجوم
وكيف أسكن جرنا يمسح
عن البكاء دموع البسمة
تلك اللحظات تستمع إلى موسيقى
الصحاري
وهي تطلع من ضرع المراكب
فكيف أسعد وردة الفضاء
وأنا المتهالك بورد الخمول
أنزل الظنون من مراكب الوحدة
أيتها الاستعارة المنزاحة عن وشاح
ذلول
ذاك هديل النوايا
وهذا عرس الخميسين بتاريخ الذهول.

الجزائر

الحصى
صليحة نعيجة

الحصى
بارد كحصير ميت
فارق الحياة لتوه
لا قلب للحصى
لا دفء بجواره
لا عزاء يقدم ما تبقى
من حرارة الأنسنة..

الحصى
لا مواساة للقريب مما بالجوار
من رمى بكَ بعيدا؟
من أراد لكَ ينابيعَ تستقر بها؟
لا أحد يدرك سر المسألة!.

للحصى لغة و حاشية
الحصى عهر وغانية
لا تأبى من خرير السواقي
إلا خنوع الطبيعة
الطبيعة هادئة
لها قلب الله
يستأنس بالحوار
ويأبى أبالسة السطو على قواه
الأراضي
الأفئدة
يبوس
والطقوس... بسوس
حروب تدعي أن ثمة مهرا لعروس المرحلة
لا مهر
لا عروس

لا عريس
ولا زفاف
ولا مراسيم للمرحلة
فقط
ما تبقى من هرج المقصلة .
الحصى
بارع التفنان
بارع الانهيارات
بارع الاستئناس لحروب لا تنتهي
إلا على ضفاف بحر لا يعشق البلبلة .

البحر مطية للسفر
البحر ذريعة للهرب
البحر مستقر الأصداف
مرتع لكل الأحجار الكريمة..
بها الـ...بحر
لا لغة للحصى
لا مشاعر للحصى
لا وتر للحصى
يعزف "مازوش" ألحانه وحيدا
بحثا عن هدوء مؤقت
"مازوش"
لا يعي ما تفعله به المرحلة

"مازوش"
يدعى المهارة
منصتا لرغبة الحصى في رجمه
"مازوش"
مدعيا براءته مما رأى وما لم ير
مما سمع وما لم يسمع
الخطيئة أن نبالغ في رسم "مازوش" ضحية مؤبدة
"مازوش" شريك بالملحمة
"مازوش" شريك بجريمة وطفاء

لا تقول إلا ارتباكه عن عمد..

كم باسق قلبه!
كم شاهق عمره بالمسرات!
ما الذي أربك تراتيله بغتة؟
من حرض الحصى على رميه من كل الجهات؟
من حرض الحصى للنيل من عرض الماء؟
والهواء؟
والسماء؟
فما الذي يمنح الحصى كل هاته الحصانة؟

3ماي2016 الجزائر

أنبياء بلا كتب

أحمد هلالي

نزلنا من الجبال
مثل أنبياء فرحين بكتبهم المبهمة
وانتشرنا في الأرض
كالنمل مقتفين روائح المستقبل،
سلكنا طرقا موحلة
تحفها نظرات القسوة من كل الجهات.

الأيام الصعبة عبرناها
غير آبهين بالبرد الذي كوى أصابعنا وخدودنا الرطبة
ولا بالجوع الذي ثقب صمتنا
في قاعات الدرس
ونحن نصرّف اللحظة في مختلف الأزمنة.

كنا نكره استراحة الزوال أيام الشتاء
لأنها كانت تسلبنا المأوى
وتجعل منا متشردين نرتعش بردا
أمام أبواب المقاهي
حيث رائحة القهوة تأخذنا بعيدا
إلى أحضان الأمهات.

حصة اللغة العربية
كم تمنيناها أن تطول
فقط لرشاقة مدرستِها
وقِصَر تنّورتها التي كانت تكشف عن الكثير
من معاني النص الخبيئة
ولعطرها الضائع في القاعة إذ كانت دليلنا لفصل الربيع
كل صباح.

نزلنا من الجبال مسرعين

بأحذية بلاستيكية
تتذكرها أصابعنا جيدا
نزلنا بلا مواعيد
ولا تواريخ مضبوطة
مأهولين بالأحلام
وأناشيد الغضب،
ولدنا لرغبة طائشة في عيون آبائنا
تلقفتنا الطبيعة، منا من عاش
ومنا فرحت الأرض به سمادا لأزهارها المتوحشة.

تفتحت في ظلام الوقت عيوننا
لنكنا ظللنا نفرك حجر الواقع الصلد
فأشعلنا في أحلك الأيام
شمعة الأمل،
نحن أبناء الفلاحين جئنا كما تجيء الغلة في الموسم المثمر
وكبرنا مثل أشجار فارعة
على جنبات الأيام
فتدلت ثمارنا خلف الأسوار
يتلمظ ماؤها الحلو سماسرة الوقت.

09.02.2021
المغرب

عند الجليلِ نسمةُ روحي

محمود شريح

بلوعةٍ غادرتُ بيروتَ بالأمسِ
فأمسيتُ اليومَ لا قمري ولا شمسي

ما كان الفراقُ بخاطري
لكن تصريفَ الزمان عكسي

من جميّزة الأشرفية ملأت دَنّي
وفي مقهى الحمرا أفرغتُ كأسي

بيروتُ مدرجُ قراءتي الأُولى
وفيها ملهى صِبايَ ودَرسي

لكنْ هي غُربتي فلا فكاكَ
تنخرُ قلبي وتسوسُ رأسي

هي توأمي فلا مهربَ منها
لكنّ صبري عليها ينسخُ يأسي

إلى قمّةٍ جرداءَ ألقيتُ برحلي
فسيّان عندي إلى روضٍ أو رمسِ

هناكَ عند الجليلِ نسمةُ روحي
وها عند منحدر الألبِ يباسي

لكمْ منّيْتُ نفسي بعودة
فإذا الفرقةُ يبابي ولِباسي

والوصلُ حلمٌ تشظّى بوعدٍ

فقستُ زماني بخطاب آسِ

من نضالٍ عاثرٍ إلى كفاح خائبٍ
فكانتْ دُنياي فضاءَ وساوِسِ

أغفو على قلقٍ وأصحو بزفرةٍ
يطولُ ليلي فيما قريني بؤسي

فكانتْ أيامي زمانَ وساوسٍ
واتسعتْ بي مطارح هواجسي

أقمتُ أعلّلُ نفسي بالمُنى
فقلتُ أُبدّلُ فلسطينَ بأندلسِ

ذهبتْ شكوايَ أدراجَ الرياح
فيما عنائي دون أطوادٍ رواسِ

تسأمُ نفسي روحي كلّ صباح
وتهلكُ أسىً عند الأماسي

هي بلادي أسايَ منّي ضاعتْ
فاكتفيتُ بالهجرِ أقلع غَرْسي

عند مرأى شعبي يتلظّى ويقاسي

هانتْ بلوايَ وسَهُلَ شقائي
عند مرأى شعبي يتلظّى ويقاسي

إن كانَ لمنطقِ التاريخ حكمةٌ
فهي بحقّه أنّه جبارٌ يؤاسي

وغدًا إذا عدتُ فللنجوى أعودُ
غيرَ آسفٍ على رسمٍ درسِ...

حلمُ صبّار

(الصبّار هذا المُؤتمنُ على الجرح)

محمود عبدو

١
قَدمكِ في جدول الماء
ترفُ شوق
وها أنا أخيّبُ الماء
جارا ظلّيّ المُقشّر
المتخفي خلف الصخرة
بعيدا
قدمك لا زالت مُدلّاة في النهر وقلبي.
٢
يسيلُ الحزن
كعدّاء أمامي
أصل متأخرا كعادتي
لخط الحياة.
٣
كتلكؤ التوبة في فمي
يبلّل ماء الوضوء جسدي.
٤
يزّين الشكّ
وخيلاء المكان الآيل كمتاهة
ويقف مُكمّماً كجرعة مُخدرة.
٥
يبدّل جرحه وتموزه
كفجر منهك يتجرّع الصباح على مضض.
٦
الضوء ما هو إلا بناتُ أفكار النهار.!
٧
السّعاةُ لصيد الأفراح

بشرٌ من ماء.

.....

٢٠٢٣/٤/٤

3 قصائد قصيرة

1

هبني خفّة اللون
أيها الحبّ
لستُ إلا سَيّافَ ماء
أُبدّدُ نعس الموجة
وديعٌ أنت
وديعٌ كقصاصة رماها
عاشقٌ ما
لظلّيَ المسفوح على وجع النهر.

2

باعتدالٍ: ينتهز الخبز فرصته
ليخرج من علاقتنا
لم يعد بيننا إلا الملح فحسب!!

3

بخفّة ضوءٍ
تبذغُ ملايينُ المسافات فيَّ
...
بيدٍ واحدة تنهدت آخر ابتسامة...
...ليس سؤالا في آخر العام بل هي بقايانا ولدت دون أسئلة

ديرك

three poems

Raghida Ibrahim

1- Creation

And from the secret darkness came a light,
It spilled all.
That was creation
That is creation.

Then it was different
Light became stale
Light became bare
Light became stagnant

And creation was no more
"And" is not a beginning
It is a continuation
That is why there must
Have been something
Before the "word".

2- A Floating Idea

You are a beautiful thought difficult to
Materialize,
A cool breeze playing with my hair on a hot
Summer afternoon
A floating idea, a fleeting thought, a joyful dream
That came to me after all was said and done.

You are a postman on a bicycle bringing me

Love letters from Neruda
You are my Che' on the bicycle up the
Bolivian mountains for a last ride
My inspiration, my last breath
My lost dream
My last dream
You bring laughter to my life
You bring life to my life
You awaken me.

3- Insomnia

And I lie down next to my insomnia
And together we listen
We cover distances
We pass times
We agree
We argue
We nod
We nod again
And again
Then I fall silent.
It's between the nod and the silence
That I fall asleep.

قصائد مترجمة

من الشّعر الألمانيّ المعاصر
(ثلاثة شعراء من ولاية ساكسونيا أنهالت الألمانيّة)
ترجمة: وحيد نادر

مقدّمة

سألني الصديق الشّاعر م. علاء الدين عبد المولى عن إمكانيّة نشر ملفّ للشّعر الألمانيّ المعاصر في مجلّة الحركة الشعريّة، التي تصدر في المكسيك وتوزّع في كلّ أنحاء العالم. فسررتُ، سرّني سؤاله، الذي يمنحني فرصةً غالية قد لا تعوّضها أيّام وسنوات مقبلة. وهكذا رأيت تقديم ثلاثة أصوات شعريّة من الولاية الألمانيّة التي أعيش فيها منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، ولاية ساكسونيا أنهالت. تقع الولاية شرق وسط ألمانيا، وهي ولاية جديدة ضمن الفيدراليّة الألمانيّة بعد الوحدة الحديثة 1990.

ماجديبورغ على نهر الإلبه هي عاصمة الولاية إداريّاً، غير أنّنا، نحن أهل المقاطعة، نعتبر مدينة هالّه على نهر الزّاله عاصمتنا الثقافيّة، وللأمر تاريخه ومعضلاته الكثيرة، التي لا تهمّنا هنا.

رغم أنّ الشعراء الثلاثة في هذه الترجمة الأدبيّة قد عاشوا فترة طويلة من عمرهم في ألمانيا الديمقراطيّة سابقاً وينتمي ثلاثتهم إلى الاتّحاد العامّ للكاتبات والكتّاب الألمان، إلاّ أنّ لكلّ منهم سيرته الحياتيّة والأدبيّة الخاصة، التي تميّزه وتميّز لسانه الشعريّ. فبينما ترأس ريناته ساتلر فرع اتّحاد الكتّاب في الولاية، يعيش أندريه شينكل في هالّه ويعتبر من أهمّ الأسماء الأدبيّة التي تقود الفعل الأدبيّ الثقافيّ في ساكسونيا أنهالت عبر رئاسته تحرير كبرى المجلاّت الأدبية التي تصدرها الولاية. أمّا وحيد نادر، اسم سوريّ شغل لسنوات طويلة منصب نائب رئيس الاتّحاد في الولاية، فيعيش ويعمل ويكتب منذ عقود في ماجديبورغ ، لكنّه يعكس في أدبه الذي ينشره بلغتين، العربيّة والألمانيّة، الدور الكبير الذي أخذت تلعبه الأقليّات في المجتمع الألمانيّ الحديث وفي الثقافة الألمانيّة المعاصرة.

الخلاصة هي أنّ الشعراء الثلاثة ينتمون إلى قلّة من كتّاب صبّوا جلّ اهتمامهم الفكريّ والأدبيّ على بيئة وسط ألمانيا وكرّسوا، في كتبهم الصادرة حتّى الآن، الكثير من ذلك الاهتمام لإنسان وطبيعة وقضايا وسط ألمانيا بشكلّ خاص، لكنّ ذلك لم يبعدهم طبعاً عن التفاعل مع الجوّ الأدبي الألمانيّ والأوروبيّ والعالميّ والمساهمة في إغنائه، فترجمتْ بعض أعمالهم إلى لغات أوروبيّة وعالميّة

أخرى وشاركوا في فعّاليّات أدبية كثيرة ومهمّة في ألمانيا وأوروبا وخارجهما. رغم ذلك، فلن نتعرّف في هذا الملفّ على همّ واحد يجتمع عليه الكتّاب الثلاثة في كتبهم المعروضة هنا، بل سنفتح أمامنا الباب لنتعرّف على موضوعات أخرى تجمعنا، نحن القرّاء العرب، بهم في كتاباتهم، مثل مواضيع الحبّ والحرب والبيئة ... وسنسافر مع ريناته ساتلر في رحلةٍ شعريّة تمرّ في بلادنا وتذكّرنا بما حلّ بها.

I
ريناته ساتلر Renate Sattler

مختارات من ديوان "أرجوحة النجوم"، دار نشر "مَكنات الثّقافة"، فرايبورغ 2023.

الشّاعرة:

ولدت ريناته ساتلر في ماجديبورغ عام 1961. درستْ الثّقافة التطبيقيّة وعلومَها في مايسن/دريسدن، ثمّ عملت بعد تخرّجها من الجامعة منسّقةً لنشاطات "جمعيّة العالم الرابع". تعمل منذ عام 2007 كاتبةً مستقلّة، فتكتبُ الرّواية والقصّة القصيرة وتصدر كتب الأطفال والشّعر. وقد نشرت حتّى الآن حوالي عشرة كتب، كما شاركت في العديد من الأنطولوجيات داخل ألمانيا وخارجها، فترجمت قصائدها بالتالي إلى العديد من اللّغات الأخرى.
كرّمتها وزارة الثّقافة في ولاية ساكسونيا أنهالت عام 2022 بِ "وسام الشّرف" على جهودها التطوعيّة الكبيرة في المجال الثّقافي. منذ العام 2011 ترأسُ ريناته ساتلر فرع اتّحاد الكتّاب الألمان في ولاية ساكسونيا أنهالت، كما أنّها عضوٌ نشيطٌ في رابطةِ القلم الدوليّة PEN/ فرع ألمانيا.

كتاب "أرجوحة النجوم Sternenschaukel":

عطورُ الياسمين والشّاي والبخّور تملأ الجوّ، تجلبُها القوافلُ من الشّرق إلى نيقوسيا عابرة بها قبرص وجبال أرمينيا، لتحطّ في مضيق مسّينة في صقلية/إيطاليا: "تهربُ منّي اللحظةُ في متنزّه شاطئ ريدجو،/فأطوي البحرَ لكي يتّسعَ له جبيني."
لا تلبثُ ريناته ساتلر أن تصل عائدةً من رحلتها على طريق الحرير، حتّى تهبّ عليها الرّياحُ قادمةً من شواطئ البلطيق وبحر الشّمال، حيث تشقّ سفينةُ الضّوء جيباً تنفذُ منه بصعوبة في برقعِ الضّباب. أمّا في صلواتها للجدّة الكبيرة القمر،

فترجو الشّاعرة شفاعة تلك الجدّة، وهي تطلب منها الخبز لفتاةٍ صغيرةٍ جائعة اسمها "كريتا" وترجو السّلام للشّاب الجريح "فولوديا" الأوكرانيّ. "أرجوحةُ النّجوم" نافذةٌ في الدّواخل لعوالم قريبةٍ منّا بمقدار بعدها.

دمُكَ عصيرُ برتقال

يا جبلي، يا ذا المدرّجات السّبع،
أنا درجتُكَ الأولى وأنا الشّجرةُ فوقها،
أنا عصيرُ البرتقال في دمك.
بعينيّ، عينا القطّة الرقطاء،
أقودكَ في متاهات الكهوف.
فأنا عباءةُ الصدفة التي تموّهك،
وأنا أرجوحةُ النجوم، التي تهدهدُكَ من بعيد.

فاماغوستا

في ظلّ شجرةِ التّين
أمام كاتدرائيّة القدّيس نيكولاوس
أسمعُ صوتَ المؤذّن،
فأشعر وكأنّني اقتُطعتُ من حاضري
وتُركتُ أغوصُ في مكانٍ
توّجَ يوماً ملوكَ القدس الصليبيّين.
لم أكن بعيدة عن فلسطين
رغم وجع بعدي
عن نواحِ أمّ مفجوعة.

لاماسو، الثّور المجنّح
نينوى، 2015/2/26

تهبطُ عشتارُ من السّماء:
"ماذا تفعلونَ بمعبدي؟"
ضجيجُ محرّكات.

تشقّ ثوبها وترى،
كيف يثقب المحاربون جسدَ حارسِ البوّابة
ويقتلعونَ عينيه.
ورغم أنّ عشتارَ أسَدٌ، لكنّها لا تستطيعُ أن تفعلَ شيئاً
ينتصر لحسرات التنهّد تحت جنازير العربات المصفّحة.
كان صراخُ الحجارةِ الآشوريّة
يهبّ ويعبرُ الصّحراء،
يخفقُ متوجّعاً فوق دجلة.
ألا نسمعُه؟

الحضرة
2015/3/7

هل تسمع؟
تفجير!
إنّه يفجّرون هذا الذي قاوم الحروب دهوراً،
من الفرثيّين إلى الرّوم والسّاسانيّين.
فاليوم يموت الحجر،
تموت ينابيع ثقافاتنا.
ألا تسمع،
ألا تسمع دموعي؟

الشّاطئ الذهبيّ

لا أطرى ولا أرقّ من هذه السجّادة – رمل البحر الأبيض المتوسط،
حين يقتسمُه الضّوءُ أقراصَ عسل
تحطّ عليها نظراتي،
بينما يخضخضُ ماءٌ كريستاليّ صافٍ زبدَ شواطئه.

لا سمكَ ولا قناديلَ بحرٍ تلتقيني
وأنا أتجنّبُ التعثّر بشظايا صخور الجبال المحيطة، تلك البقعُ المعتمة!

وهناك على الشّرم البحريّ، حيث تشرئبُّ كنيسةُ الحواريّ أندرياس أعلى الجرف –
منارة لسّفنٍ قد تضلّ.
أنا أسبحُ في سرير سماء بوزيدون.

هنا، حيث ينغرسُ القدّيسُ قرنُ اليابسةِ
مثل خنجر في البحر صوب لاذقيّة سوريّة.
هنا يسكن الماءُ، هذا الحساء فوق صحنِ الأرض،
مُطلقاً وعده: لن أبتلعَ قواربَ المهاجرين المطاطيّة ثانية.

فلامنكو

طرْ يا نحاميَ الجميل،
طرْ واخرجْ إلى اللّيل.

إنّهم يجرفونَ من بحيراتِك الشاطئيّة الملحَ
ويقتلعون سرطاناتِك القشريّة في أتاكاما تشيلي.
إنّهم يحكّونَ تحت منقارك
ويسرقونَ الليثيوم
ليصنعوا منه تلفونيَ المحمول
والبطّاريّةَ في سيّارة الليموزين.

قريباً سوف نسمعُ مزاعمَهم:
"عاشتْ طيورُ النّار في أتاكاما يوماً،
والمتحفُ يحوي ريشةً منها الآن،
ها هي محفوظةٌ تحت الزجاج!"

الغراب والكركيّ

سحبَ غرابٌ فَرخَ الكركيّ من عشّه.
"لا يجوز لكَ ذلك، نوعي مهدّدٌ بالانقراض وموضوع تحت الحماية!"،

زقزقَ الصّوص.
"وأنا مثلك!"، نعقَ الغراب.

نشيدُ الأوزّة البريّة

في الدرب الفاصلِ بين الصّيف والخريف،
عدتُ من طريقِ الحرير إلى بلادي الباردة،
عدتُ في الوقت الذي تغادر فيه الإوزّات البريّة ذلك الشّمال.
أنا أريدُ الذهابَ الآن إلى حيثُ تهربون.

... سوف أضلُّ، أضلُّ وأتوهُ هائمةً في مسارب اللّيل،
حيث تلعبَ النجومُ لعبةَ "المستخبايَة" معي،
وتبدو لي بعضُ القرى خاليةً،
فلا ضوءَ يحرسُها،
ووحده القنفذُ يخشخشُ في ذلك السّكون،
بينما أرمي سنواتِ عمري خلفي،
وكأنّها فرقعاتٌ في عاصفةٍ شمسيّة.

أمامي تضطجعُ الجبالُ في برقع من ضباب
ويلفُّ جبلُ الأساطير نفسه بعباءةٍ من صوف.
لكنّني أدبرُ عائدةً،
فأنا أريدُ عبورَ هذي البوادي باتّجاه الشّمال إلى البحر.

سوف أكونُ في الطّريق، يوم يهاجرُ الإوزُّ البريّ،
وسوف أضلُّ، أضلُّ وأتوهُ هائمةً في مسارب اللّيل.

جبال الهارتز

الغابةُ هي التي اختلقتِ الأسطورة،
أمّا القزمُ فقام يحرسُ
غديرَ الذهب ومغارةَ النّحاس.

هذا شِعبُ الماءِ الأسود
يتدفّق قافزاً فوق تنوّعات الجروف الصخريّة التي نحتها،
كي يصلَ المرجَ على المستنقع الوحليّ.
أنا أسمع صيحات غَزل طيور الحَجل في رقصة تزاوجِها.

هنا سأنصب خيمتي الأبديّة،
في الوادي على بساط هذا الماء البريّ.

شفاعة لي

قولي لي يا جدّتي القمر:
لن يكونَ هذا الخريفُ خريفيَ الأخير،
لن يكونَ آخر فصلٍ تفضّضُ فيه الشّمسُ شجرةَ القيقبِ في الدّار،
فسنواتي الستّون أصبحتْ حملاً ثقيلاً من الزّمن،
وأنا أحسّ بالثّلج في مسماتِ عظامي الصغيرة،
هذا الذي لن يستطيعَ الربيعُ نفسه إذابتَه.
مازلتُ أحملُ قصصاً، في شَعري وفي جيوب بنطالي،
ومازلت أرغب في تقليب صفحاتها.

الماغوصة أو **فاماغوستا** مدينة القسم الشمالي من جزيرة قبرص. وهي منطقة خاضعة للأمم المتّحدة ومعروفة بآثارها الإغريقية والفرعونية والفينيقية والرومانية والبيزنطية والعربيّة والعثمانية. من أهم معالمها القلعة وجامع لالا باشا.
الثور المجنح (أو لاماسو بالأكّاديّة)، هو جنّ مهمّته حماية المدن والقصور ودور العبادة. ينتصب على شكل تمثال ضخم يحرس باباً من أبواب سور مدينة نينوى، فهو يرمز إلى القوة والحكمة والشجاعة والسموّ في الحضارة الآشوريّة، التي اعتمدت القوة كمبدأ في سياستها وانتشارها.
التواريخ الموجودة تحت عناوين القصائد هي نفس تواريخ تدمير الآثار في نينوى من قبل فصائل داعش العسكرية.

أنشئت **الحضر** (جنوب غرب الموصل) أيّام سيطرة الفرثيين على بلاد ما بين النهرين العليا نهايات العام الثاني قبل الميلاد. كان يسكنها أناس يتحدثون اللهجات الآراميَّة، وهم من نسل الآشوريين والآراميين. تعتبر من أقدم الممالك العربيّة في وادي الرافدين (مملكة عربايا) وحكمها الملوك عرب بدءاً من القرن الثالث الميلادي.
أتاكاما شريط صحراويّ في تشيلي بأمريكا الجنوبيّة يوازي المحيط الهادي من الغرب. تتميز أتاكاما ببرودتها الشديدة وانعدام أمطارها تقريباً، لكنّ طيراً جميلاً يسكنها هو الفلامنكو أو النحام، الذي راح ينقرض تدريجيّاً، بسبب انتشار مناجم الليثيوم ملوّثةً شواطئ أتاكاما.
شِعب الماء الأسود وغدير الذهب سواقي جانبيّة لنهر "كالتن بوده" أو الأرض الباردة في جبال الهارتز في ولاية ساكسونيا أنهالت الألمانيّة.

II
أندريه شينِكِل Andrè Schinkel

سباعيّة الحبّار، من ديوان: كتاب التّراب، دار نشر وسط ألمانيا، هالّه 2017.

تعريف بالشّاعر وكتابه:
يعيش الشّاعر أندريه شينِكِل، المولود عام 1972، في مدينة هالِّه على نهر زالِه. بعد تخرجه من مدرسة الزراعة، درس الشّاعر هندسة البيئة وعلم الآثار، ثمّ تابع فيما بعد دراسة تاريخ الفنّ واللّغة الألمانيّة. أصدر أندريه شينكل أكثر من ثلاثين كتاباً أدبيّاً حتّى الآن، وهو يرأس تحرير مجلة "موطن الأعين"، كبرى المجلاّت التي تعنى بالأدب في ولاية ساكسونيا أنهالت الألمانيّة. من بين أهمّ الجوائز التي حصل عليها الشاعر: جائزة جورج قيصر التشجيعيّة عام 1998، جائزة يواخيم رينجِل ناتس للشعراء الشّباب عام 2006 ، وجائزة فالتر باور للعام 2012. ثمّ كرّمتْهُ ولاية تورينغين عام 2016 بمنحة "هارالد غيرلاخ" للآداب.

يسمّي الشاعر كتابه "علم الأرض Bodenkunde"، لكنّني سأترجمه هنا إلى "كتاب التراب"، كي أصبح أكثر اقتراباً من مضامين هذا الديوان السحريّ.

من المعروف عن أندريه شينكل كتاباته السوداويّة الأسطوريّة المليئة باللّمعانات الفنيّة، لكنّ ذلك ليس كلّ ما يستطيعه الشاعر، بل إنّ باستطاعته أيضاً الكتابة بالطرائق التقليديّة الموزونة اللعوبة المرحة السّهلة. فهو واحد من أكثر شعراء ساكسونيا أنهالت غزارة في الإنتاج وأكثرهم فاعليّة في الوسط الأدبيّ، كما أنّه أكثرهم تنوّعاً في ذلك الإنتاج الأدبيّ، لذلك كُرّم مرّات كثيرة على غزارة إنتاجه وتنوّعه قبل أن يتجاوز عمره الأربعين عاماً.

فلو أخذتَ ديوان أندريه شينكل "كتاب التراب" بين يديك، فلن تسمح له بعد ذلك بمغادرتهما، قبل أن تفتح عوالمه وتسمحَ له بافتتاح عوالم جديدة لديك، عوالم تريد أن تبقى حيّة بما وبمن يسكنها ويتحرّك ضمنها. قصائد شينكل ليست من تلك الحقول التي تتيح لك حراثتها بسرعة، إنّها تطلب منك الانشغال بها وتدليلها قبل ذلك، تطلب منك أن تعمل عليها مرّة بعد مرّة، إنّها تتحدّاك. وهكذا ينفتحُ، أمام كلّ من يتجرّأ على ملامسة تلك النصوص، عالم لغويّ تصويريّ يحاول الشاعر إيصاله بطريقة تحيّر قارئه ومتتبّعه. نعم، تستطيع هذه القصائد تغيير بعض رؤيتك الخاصّة للعالم، كأن تغيّر نظرتك إلى عالم الحبّاريات مثلاً، تلك الأسماك التي رأيتها من قبل ربّما، لكنّك لم تراقبها بما فيه الكفاية.

تأخذك مطالعةُ قصائدُ الحبّاريات السبع إلى البحث فوراً عن حيوانات البحر ومحاولة أرشفتها، حتّى لو كان ذلك غير مهمّ أحياناً، لكنّه قد يساعدك هنا على فهم المجاز والاستعارات في النصوص (كأن تعرف مثلاً أنّ حبر تلك الحيوانات يستخدم للعلاج في الطبّ التجانسي مثلاً، وكأنّك تُعالج الدّاء بالداء نفسه أو بمثله، أو أنّ النّساء يستخدمن تلك المادة الحبّاريّة في علاج بعض أمراضهنّ، كمشاكل الدورة الشهريّة.) من بابٍ آخر، فالحبّار حيوان ينفّرُكَ منه بطبيعته ويبعدك عنه بشكله وبحركته، كما يشعرك ببرود عاطفيّ تجاهه. فهو ليس بلبلاً مغرّداً تضعه إلى جانب سريرك كي يغنّي وتنام، لكنّ معرفتنا بالحبّاريّات ستفهمنا النصّ أكثر وستمنحه أعماق في أنفسنا قد لا يوصلها لنا بالضرورة دائماً وفي كلّ الأوقات.

أن نكتب هذه الأيّام قصائد حبّ نضمّنها مقاطع تتكلّم عن حالات من الفشل الإنسانيّ في الحبّ أيضاً – فتلك جرأة قد ننعتها بالمتهوّرة. إنّنا، نحن القرّاء، نشعر أنّنا قد ننزلقُ في نصوص أندريه شينكل فوق طبقة هشّة من جليد يضطرّنا للمشي عليه، فتلك هشاشة الموجع في المعاني، هشاشة تستر عمق مياه بحيرات ألمانيا الزرقاء المخضرّة.

(المترجم/بتصرّف. انظر كتّاب *من مجموعة الحقل الجميل*، كتّاب بحجرات عديدة، 2019/3/6، قراءة تعرض قصائد وشعر أندريه شينكل في "كتاب التراب"/هالّه.)

(Aus Schoenfeldblock, Autoren … Ein Buch mit vielen Zimmern, 2019-03-06Artikel und Rezensionen, Gedichte, Poesie André Schinkel, Bodenkunde, Halle)

الحبّار، I

أريدُ، منذ وقت، أن أغنّي ثمالةَ ذلك الحبّار:
وميضَ صعوده في ضوء أيّام أُخَر
تشي بانكسار ضوئنا وميله للتّلاشي،
بعد أن تفكّكت لهجتنا وأصبحت رائحتُها قاحلة.
يمّحي الضوء
بين ذراعيّ امرأة باردة ذات إيقاعات متماسكة
الضوء الذي حملني لسنوات –
فخلْفَ ستائر الدمع يغنّي البحر حلزونيّاته،
يغنّي وميضَ ضوئها واستسلامَها العاشق في خفوته المصفرّ:

الفتنةُ، هي ما يبذره الحبّ فينا ليلاً
على ممرّات رقصاتنا اليائسة، وفي اللّغط الشرّير
لشهواتنا العبثيّة، فلا شيء يغنّي لعذابي المُقنِع

أكثر من هذا الانقطاع في تواصل عهدناه
لأشياء حبيبة فوق ظلال الموج: هذا اللاشيء/لاشيئها المدرّ للماء السفليّ،
تلك المسافة التي تحتاجها سواعدها/أذرع الأخطبوط في اقتناص الفريسة.

الحبّار، II

أسمع قرقعةَ القواقع في اللّيالي
هيجاناً ساهماً يقتربُ منّي عبر سكون الهدوء في فوسفور جسدِه،

وأنا أركبُ الأعالي في بحر أحلامي
بأنفاس تقطّعت في فسحات التنفّس.

عام ويوم انقضيا بلا نوم، رغم الانتصاب الدّائم لهذا الجبل القزم الألبيّ أمام ناظريكِ ...
وأنتِ تعرفين منذ زمن طويل، أنّ هذا الرّعب من صنع البشر.
"أنا أحبّكِ"، أقول، حين أحسّ بنظراتِك
وهي تشرّحُ جسدي المتوزّعَ حولكِ:

"كأنّكَ جبل الشّحم"، تقولين: "لكنّكَ تقبّلُني وتعبرني سريعاً حين تأخذني،
غير آبه بهذا اليأس، يأس أسراب من مصابيح الحشراتِ الطّائرة
تدور حولنا وتغرز مخالبَها في الأمل ..."

مع ذلك فأنت تنهضينَ مضمّدةً بثيابٍ لا تقطر سوى الماءَ،
تتركينني هناك مستلقياً، داكناً ومرميّاً في القرف وفي فوران الجرح،
تتركينني أنقلب وأستديرُ: فقد سرقتِ منّي اكتمالَ شهوتي.

الحبّار، III

مستيقظاً أجلسُ منذ وقتٍ، والزّمن،
ثمانيُّ الأذرع هذا، يأخذني بقوّة، وتفتلُ زَباديْ خراطِيمه الدّقيقة
اللّحمَ وتمتصّهُ، ـ افتراسٌ مئويّ الرّؤوس ينقضُّ:
تتابعُه آلافُ الأعين!

طلقاتٌ من الحِبر حادّةُ الرّائحة تغطّيني وتطمر ما حولي،
كضباب يحرثُ أرضاً جديدة ترتديني
منذ أن غادرت أمعاءُ اللّيل بلا نوم.
أمّا تفكيري بكِ فتحتلّه عفونةٌ غَيرانة، هروبك المتكرّر ... نعم،

تلك حواجزُ الحلم المجنزرة، عديمةُ الجدوى،
فمن العبث أن يُلبِسَ المرء البرتقالةَ مئزراً ثمّ يتوسّلُ لها
– إنّها خراطيمُ مفترسةٌ هذي التي تزنّرُ تلافيفَ مخّيَ المعدنيّة.

ما أفتاكِ، يا طاووس البحر، وأنتِ تنزعين أحشائي،
تمتصّين ما فيّ منّي، وحين تنتفضينَ وتأخذ أبعادُكِ أقصاها،
يحرسُكِ طيرانُ الاخطبوط؛ ويحميك ما قلتُه لكِ: أحبّك، لكنّك لا تسمعين!

الحبّار، IV

شغفُكِ هو لا مبالاتُك الشّبقة، وهذا مثل معالجة الشيء بشبيهه،
صيدٌ بحربةٍ تشقّ الرفض، حين يغلّف نفسه بغنج مستهزئ،
والشّهوات أكياس مملوءةٌ بلزوجة شرابٍ خطير،
هذا الطّعم المغوي الهادي إلى سهلٍ يشبه طرقَ المنحدرات والقيعان.

ساطعٌ نشيدُكِ المحفّز، هاربٌ من لون البحر يُبعدُ رغباته،
مضغوطٌ وغاضبٌ في رفرفاتِ الفراش الأخطبوطيّ،
ومحشوٌ في توحّده؛ وفي فمكِ، صراخ العنفوان داخل حلمٍ محتلّ،
احتلته عينان خائفتان.

أمّا أنا فأشتمّ فرط غريزتَكِ،
وأنت تمارسينَ متعتَكِ في ثوانٍ،
ثمّ تبتعدين عنيّ باحثةً عن شفائكِ في ارتداد ارتجافات مموّهة.

الحبّارُ لا يغفر، هو ينسى فقط
– ولهذا فأنتِ لا تثقينَ بأحدٍ يختلفُ عنكِ، كما لا تشعرين بهذا الذي ينبعثُ منك ...
هذا الذي يصطادُني بشباكِ الغضبِ في خوفي.

الحبّار، V

الحبّار، هكذا يُطلَق عليه، يشفي من عللٍ تشبه الكرهَ والغضب،
وتقولُ أسطورةُ البحر: إنّه يشفي أيضاً من أورام
قد تصيبُ النّساء بانهدام الرّغبة، ويرعى في اللّيل دوافعَ الهربِ لدى الحيوانات
باتّجاه المعلف أو إلى لعبةٍ

مازالت تحيا فيها النبوّات القديمة.
في هجرته المتلألئة يتدافع عثّ البحر، ينطحن،
ثمّ يسقط في حريق الأكزيما،
في إدماننا على الحبّ الإنسانيّ:

كان باستطاعتي بيع جسدي لأسماك الأخطبوط،
مقابل بضع نظراتٍ منكِ، ولأنّك تعرفين ذلك،
فقد غاب اهتمامُك بي، بهذا الجسد، فماذا أبقيتِ لي

أكثر من الجري خلف أصوات أجراس بُعدِكِ؟
في سرّي تجلجلُ ضحكتُكِ، وفي شحم البطن صغار حيوانات تمارس السيبوكو،
مثلما يُدخِل الذكرُ منقاره في عنق أنثاه ليطعمها، لأنّ الحبّ تضحية، هو قتلٌ ببقر البطن.

الحبّار، VI

منتظراً كنتُ في زرقة شروق الهضاب الخضراء، منتظراً في رحيلها،
فهي هذه البوّابةُ إلى أعماق البحار ... في الطريق إلى الصّرخة،
صرختكِ في لحظات الخلق المظلمة، حين تمرقُ أسرابُ العشق فوق جسدينا؛
وترخي هذا اللاتماسكَ القاتل
– هو تأبّطُ الحشرِ المعتاد للأحلام، وأنت تستلقين بعيدة عنّي.
هو هيجانُ رقص الحلزون وثورتُه، وكأنّني أمام دبكة شعبيّة أوكرانيّة،
حلقةِ رقصٍ حول تراجيديا من ماءٍ وملح
– وأنتِ فوق النّهاية الجنوبيّة لهذا العرض،

أنا المخلوع في هذا الشّمال الذّاوي:
أنتِ يا سطوعاً أكيداً يصحو في غمّازات الوقت الديوديّة،
هذي التي تجعلك ... صامتةً ومتسلسلة –

ركوب الحبّاريات وكأنّها أفراس، امتطاءٌ أثاره طيبُ جلدكِ.
مُثارٌ، وهذا أنا، هيجانُ الأمعاء الوقح، هذا المحتشدُ الباحثُ فينا
– هذا المنسيّ وهذا الأبديّ الضائع.

الحبّار، VII

أحبّكِ، أقولُ ... لكنّك ما عدتِ تسمعين؛ فأنا أعرف طبعاً،
أنّك الآن في الظّلمة، وأنّ النّهار آتٍ،
وأنّكِ سوف تتجرّئينَ على الرّحيل مغامرةً باتّجاهي
من غير أن تخافي البحر: – ورغم استحالة تقدير النّهايات.

أنتِ تحطّمينَ الآن المرايا أيضاً وتنحين جانب الصّمت الشّافي
في كثبان الرّمل على الشّاطئ،
وهذا الضّوء الخفيض لحيوانات الكلمار، الذي يخترق ذابحاً فضاءات رأسينا،
ضوءٌ خافتٌ بلا نهاية، لكنّه يجعل وجهكِ أكثر رقّة وصفاراً في الذّاكرة:

هذا كلّ ما أحتفظ به منكِ: لمعاناتُ صغار الحبّار في نشوتها،
وفي نقيقها المزلزل، تلك الأسراب اللانهائيّة
في برك الماء الوحليّة؛

فحين ينتهي غطيطُ الافتراس المستلذّ،
وينحني ضوء الدّيوادات إلى وحله: تسكنينَ البعدَ، وأنا ينخرُني الشّكّ،
بينما تتّحدُ الحبّارات الصغيرة في صويّ معداتِها، أحشاء تطبخ كلّ ما تملكه من قوّة فوق نيران شهوانيّتها.

هالّه على نهر زاله وميرزه بورغ مدينتان كبيرتان في ولاية ساكسونيا أنهالت الألمانيّة.
جائزة "جورج قيصر" التشجيعيّة وجائزة "يواخيم رينجِل ناتس" للشّعراء الشّباب وجائزة "فالتر باور" ومنحة "هارالد غيرلاخ"، جوائز ومنح تحمل أسماء كتّاب كبار من ولايات وسط ألمانيا.
السيبوكو أو هارا كيري: بقر البطن وقطع الأحشاء، وهو ممارسة معروفة لدى مقاتلي الساموراي، يلجؤون إليها من أجل تفادي الوقوع في أيدي العدو.

III

وحيد نادر Wahid Nader

عشر قصائد حبّ، مختارات من ديوان "احتراق الرّيحانة Verbrennen der Myrte"

دار نشر هانز شيلر، برلين 2019.

وحيد نادر شاعرٌ ومترجم وأستاذ جامعيّ من أصل سوريّ يعيش في ألمانيا. حاصل على جائزة الشّعر في الجامعات السوريّة عام 1978 وعلى جائزة معهد غوته للترجمة الاحترافيّة/معرض لايبزغ الدولي للكتاب عام 2012. عضو اتحاد الكتّاب الألمان ورابطة الكتّاب السوريّين، يكتب باللّغتين: العربيّة والألمانيّة ويترجم منهما وإليهما. له أربعة دواين شعر وترجمات كثيرة.

ممزّقٌ بين عالمين، رغم بحثهما الدائم للاتحادَ في دواخله، يحلم وحيد نادر بسوريّة وألمانيا وبنهريّ الفرات والإلبه. لذلك تراه في كتابه الجديد يشدّ قوسَ ألوانِه ليضمّ تحته سنوات عمره في ولاية ساكسونيا أنهالت الألمانيّة إلى سنوات طفولته في قريته على ساحل المتوسّط. كلّ ذلك من أجل أن يصل بنا أخيراً إلى ما عانته سوريّة وما عاناه السوريّون وما رافق تلك المعاناة من عنف في السنوات الأخيرة. احتلّت قصائد ديوان "احتراق الريحانة" ستّة فصول تتهادى فيها القصائد فوق بحارٍ من البهجة والحزن، لتحطّ بنا فوق شكلٍ من أشكال التواصل المتضامن ولتهيم بنا في هيجان حالات شوق الحبيب لحبيبه.

ما يميّز لغة وحيد نادر هو هذا الاتّفاق التكافليّ المتناغم بين يقظة مشاعر مشرقيّة الهوى وصنعة تعبيريّة متقنة للّغة الألمانيّة. فالرّيحانة، نبتة أفروديت في روما القديمة، هي شجرة الحبّ والرغبة، حين تزيّن غصونُها رأس العروس وتعطّر صدرها. وهي نفسها في البلاد السوريّة ثمرٌ من الجنّة واسمٌ لعشتار والحريّة. فحين تحترق تلك الرّيحانة السوريّة، فإنّها تحوّل معها الحريّة والجنّة الكونيّة إلى رماد.

الكتاب ديوان للحبّ والشوق، فَ "أنا الشاعر" تغرّدُ باحثة عن الآخر الحبيب العشيق، وتتحوّل في بعض مقاطعها إلى مجازات تفوح بالإيروتيك.

(المترجم/بتصرّف. انظر مراجعة تيمو براندت في "توقيعات"، منتدى الشعر المستقلّ)

(Timo Brandt: Rezensionen, Verbrennen der Myrte, Wahid Nader, Berlin, Verlag Hans Schiler 2019)

شمس
مثل فراشة
تجوّلتُ مع الشّمس في غرفتي.
على الطاولة
تطهّرتْ صفحاتُ شعري في وهجها
وجلستُ إليها
وهي تمسحُ بأشعّتها إناء المزهريّة
وحين ذبُل الزّهر،
انسحبتْ إلى خزانة الثّياب.
هناك تنفّستِ الشّمسُ عطرَكِ،
لبستْ قميصَ نومِكِ
فاستلقيت إلى جانبها في الفراش،
وحين أفقت من نومي
وجدتُها ترتدي ثوبَ سهرتكِ الأسود
وتتركني عارياً.

أنفاس

حتّى لو لم تكوني هنا،
تعانقُ وسادتك وسادتي.
حتّى لو لم تزوريني،
تدغدغُ أنفاسُ خطواتِكِ
أذني
وأسمعُ صوتَكِ
يهمسُ لي: افتح الباب!

في الرّيح
شراعٌ –
ثوبُكِ في الرّيح،

ينتفخُ،
يتكوّرُ أمامنا،
يعمينا،
ونضيعُ الطريق.
وحين نتابعُ السير مرفرفَين،
نتعثّرُ مثل غصنيّ شجرةٍ في الريح
ونتهاوى،
عنقُي حول عنقكِ
وفخذاكِ حول فخذي،
سريرُنا مرجُ اللؤلؤيّة الصغيرة
ولحافُنا
ضبابُ حبّ الطّلع.

زهرةُ الهندباء

مثل ندى الصّحراء أنا
حريريّ الملمس،
رطبٌ مثل غيمة في مطر وجهك
ومضيءٌ مثل مذنّب نجم يهوي في مدارك.

أنا رمادُ الحريق
في نظراتكِ،
أهدرُ منتشياً فوق ضفاف أنهاركِ
وأُخصبُ المياه.

أنا نبتةُ الهندباء في الصّيف.
وحين تلتفّ أطراف فستانكِ
حول نضوج زهري،
تذُرُّ بذوري في تراب حديقتِك.

إشارة في كتاب

تبحث أمّي عنّي
في شقوق كفّيها،
وأنا هائمٌ بين أصابع يديكِ،
وهي تحوكُ
شرانقَ حياتي حريراً
وتنتزعُ الشّوك من صوتي.
لحظةَ تغوصُ نظراتُك في كتاب صمتي
وتقلّبه صفحةً صفحة،
تهديني غمزات عينيك
واحدةً
أضعها إشارةً،
حيث انتهيت من القراءة.

على نهر الإلبه

سمكٌ يسبحُ ضائعاً في تعاضدِ الجذور.
مروجُ الضّفاف تنام تحت خيمةٍ من شجر الصفصافِ
وآذانُنا تضلُّ طرقها في (كورالات) النّعاج والضّفادع والغربان.
دروبٌ تتنزّه تحت شجر التفّاح البريّ،
ترتاحُ على النّهر
أو تسرعُ غاطسةً في مياهه.
شمسٌ تلتقطُ أنفاسَها
في تاجِ شجرة دردار ميتة
ونحن مفروشان كالعشب في العشب،
ضائعان بين صهيلِ الجياد
وعَدْوِ الشّجر.

كلب

مساءً،
في حديقة المنزل،

يستنشقُ القنفذُ رطوبةَ أوراق الخريف،
وأنتِ تمرّين أمام شرفة بيتي
ينكمش القنفذُ مختبئاً في كرتِه الإبريّة
فيسرع كلبُكِ كي يتشمّم تلك الكبّة،
ثمّ يقفز في الهواء،
ليلتقط قبلتي بفمِه
ويلحس بها يدَكِ.

اصطدام

في مملكة السّماء
بين الجامع والكنيسة
انضغطَ ظلاّن
ببعضهما.

"غيوم تتصادم!
كيف طار الغيمُ وانعصرَ وبقيتِ الأشجارُ ساكنة؟"
همست أحجار الطريق.

قبلٌ تتبادلُ ألسنتَها،
تتقاسمُ شفاهَها،
في الصّدرين تندلع الأنفاس،
والسّماء تشتعل،
حين تتبادل الغيوم أنخابها
وترمي فوقنا معطفها الباكي،

فتتألّق العتمةُ فينا
وقد أسكرتْها القبل
وهي تقدّمُ لكِ القمرَ
- باقةً من اللّيلك!

في المساء،
وقت يمسحُ ظلّكِ السّتائر،
تطفئين نورَ غرفةِ نومكِ
وتتركين القمرَ معلّقاً على زجاج النّافذة.

أرى ظلّك يقطفُ القمر ويرسله خلفي
يلاحقُني ويبعثُ أحلامي لكِ،
وحين يتعبُ
ينتظر معي على باب بيتك.

التّاسع عشر من نيسان

قبل ثلاثين سنة
أخذَنا القمرُ معه
إلى شجرة التّفاح.
جلس القمر في الشّجرة
ورمانا بثمارها.
لم نرغبْ أكلَ التّفاح لحظتئذٍ،
أردنا تقليدَ الجذور.

اليوم، وبعد ثلاثين سنة،
كنتُ هناك،
وكان القمرُ كعادته نائماً في حضن شجرة التّفاح.
كانت الجذورُ تتزاوجُ مثل الأفاعي،
وكان ظلّكِ
يطوف المكان،
حتّى راحت الشّجرةُ
ترتجفُ بين ذراعيّ.

ملفّ

الشاعر السوري صقر عليشي

صقر عليشي: شاعر سوري ولد 1 (ديسمبر) كانون الأول 1957 في قرية عين الكروم (محافظة حماة). صدر له:

- **قصائد مشرفة على السهل 1984**
- **الأسرار 1989**
- **قليل من الوجد 2000**
- **أعالي الحنين، منشورات رؤى ثقافية، بيروت 2003**
- **عناقيد الحكمة ـ دار الينابيع 2007**
- **الأعمال الشعرية ـ دار الينابيع 2008**
- **الغزال ـ دار الينابيع 2009**
- **مختارات شعرية ـ الهيئة العامة السورية للكتاب 2011**
- **معنى على التلّ ـ الهيئة العامة السورية للكتاب 2014**
- **أسطورة فينيقية (مختارات شعرية) الهيئة العامة السورية للكتاب 2022**
- **كتاب اللمحات ـ اتحاد الكتاب العرب 2023**

قليل من الوجد

كثير من الفطنة

د. محيي الدين صبحي

هل خطر على بال أحد أن يقرأ ديواناً فيظل يضحك من أوله إلى آخره؟ ومع ذلك فحين ينتهي من الديوان لا يشعر بالسخف أو الطيش وإنما تتفجر في نفسه ينابيع عذوبة وسمو وأفكار جليلة وحياة تحفل بالحلو وبالمر؟.
هذه شهادتي عن تجربتي مع ديوان "قليل من الوجد" شهادة تثبت للديوان جودة الأداء ولطف المأخذ وحسن التأني وخفة الروح وسداد الفكر إلى شاعرية فياضة وروح عابثة ونفس ذواقة كما ينبغي للشعراء أن يكونوا. هذه النضارة هي التي تجعلنا على اتصال مع الابتكار والتجديد. فشعر الفطنة أو البداهة Wit Poetry منبث في ثنايا الدواوين، تجده عند أعظم الشعراء متفرقاً بحيث يشرد البيت والبيتان من قصيدة جدية، كما نرى عند المتنبي في قوله:

يا أخت معتنق الفـــوارس في الـوغى

لأخوكِ ثَمَّ أرقُّ مـــنكِ وأرحـمُ

يرنو إليك، مع العفاف، وعـنده

أن المجوسَ تصيبُ في ما تَحكـــمُ

فهذان البيتان خارجان عن سياق القصيدة وتسلسلها المنطقي. وهما يقومان على نكتة ضمنية مفادها أن جمال هذه المرأة يفتن حتى أخاها فيفكر بأن المجوس لم تخطئ حين حللت للأخ الزواج من أخته ثم يستمر مرير القصيدة وتمضي على رسلها بعد هذه القفزة الفطنة التي تفاجئنا ببداهتها فتدعونا إلى الدهشة والابتسام.
ومن الشعراء المحدثين نجد إيليا أبي ماضي في طليعة شعراء الفطنة والبداهة:

قال: الســـماء كئيـبةٌ، وتجهـّما

قلت: ابتسم. يكفي التّجهّم في السّما

فالمحاورة تقوم على اكتشاف وجهتي نظر متقاربتين تعارض الثانية منهما أولها وتشتق موقفها المعارض منها. فإذا كانت السماء كئيبة فهذا يكفي، وليس سبباً لأن نكتئب فنزيد على تجهم الطبيعة تجهم البشر. ولأبي ماضي قصيدة عجيبة، ربما تكون من أوائل شعر البداهة والفطنة في الشعر العربي الحديث، يعارض فيها دعوة جبران في الرجوع إلى حياة الغابة وزعمه أن فيها الطهر والصفاء. يجادل أبو ماضي بأن الملل كامن في النفس طبيعة فيها سواء عاشت في الغاب أم العمران:

إنما نفسي التي ملّتِ العمـــران

ملّت في الغاب صحبَ الغاب

فأنا فيــه مســتقلّ طليـــقٌ

فكــأنّي أدبّ في ســـردابِ

وينهي القصيدة بمفارقة هائلة يقول فيها أن الناس في نفسه سواء كان في القفر أو في العمران:

خلت أني في القفر أصبحت وحدي

فإذا الناس كلهم في ثيـــابي

ونجد في قصيدة "ساعي البريد" لنزار قباني تطويراً مجدداً لشعر البداهة والفطنة: فبينما يسخر أبو ماضي من فكرة موضوع نقاش بينه وبين جبران، نجد نزار قباني يمتلك الجرأة ليسخر من نفسه. تبدأ القصيدة بانفجار عاطفي صوري على طريقة فاجنر:

أغلى العطور أريدها، أغلى الثيابْ
فإذا أطلّ بريدها بعد اغترابْ
وطويتُ في صدري الخطابْ
عمّرتُ في ظني القبابْ
وأمرتُ أن يُسقى المساء معي الشرابْ
ووهبتُ لليلِ النجومَ
بلا حسابَ.. بلا حسابْ ...!!

بعد هذا المطلع المجلجل يصف الشاعر قدوم ساعي البريد وأحلام العاشق باستلام رسالة من المعشوقة. شيئاً فشيئاً يضيع ساعي البريد ويختفي بين الشعاب فيما تبلغ ظنون الشاعر ذروة توقعها:

يا أنتَ... يا ساعي البريد
ببابنا. هل من خطابْ؟
ويقهقُه الرجلُ العجوزُ
ويختفي بين الشّعابْ
ما ذا يقولُ؟ يقولُ
ليس لسيدي إلا الترابْ
إلا حروفٌ من ضبابْ
أين الحقيبة؟ أين عنواني ؟
سرابٌ.. في ... سرابْ

هكذا نرى أن شعر الفطنة يعطينا قصيدة تدور حول نفسها حول ذات الشاعر لتوقعه في خيبة التوقعات. فهو يسخر من نفسه ويجعلنا نسخر منه دون أن ينتقص هذا من قيمته أو مكانته الاجتماعية أو العقلية. المسألة لعبة ذكاء وبداهة وفطنة. يناقض فيها الشاعر نفسه أو يعارض غيره معارضة غير متوقعة. أو يسلط ذكاءه على موقف فيرى فيه تناقضاً ينكشف له دون سواه. العجيب في هذه التقنية أن القارئ مدعو للابتسام مهما كانت خيبة الشاعر مريرة، كما نجد في قصيدة "طوق الياسمين".. ولعل إحساس الشاعر صقر عليشي بالصلة المبهمة بينه وبين نزار قباني دفعه إلى نظم قصيدة رثاء في منتهى الجدية والفخامة بعنوان «في منتهى الياسمين» مطلعها الجميل هو:

أميرٌ من الياسمين المضاءْ
يسيرُ على الأرض حيناً..
وحيناً
يسير على طرقات السماء..

يتلو هذا المطلع الغنائي نشيد يمنح القصيدة جديتها لكنه ينطوي على خبث عابث:

يا شاعراً من لا زوردِ حروفهِ

رقصتْ بهاءً وحشةُ الصفحاتِ

تتراكضُ الصّورُ الجميلةُ عنده

كتراكضِ الصّبيانِ في الحاراتِ

فالصورة في البيت الأخير تحمل شقاوة بريئة تعادل تلك الشيطنة. في المقطع الثاني صورة لا تقل عنها شقاوة:

على مهرة الريح عاشَ الحياةْ

كما هيَ عادةُ كلِّ الغَجرْ

فهذا البيت الذي يرسم صورة فروسية- أسطورية، أعتقد أنه كان سيعجب نزاراً لو قرأه. فطالما شبه نزار حياته بحياة الغجري المشرد. فإذا أضفنا أنه عاش الحياة على مهرة الريح اكتملت لنا صورة فارس فريد. إلا أن المقطع التالي يبين لنا أن نزاراً ليس فارساً بل هو شامان ساحر يملي على أشياعه أن يرتلوا "سورة الحلمات". هنا نضع يدنا على تشابه المعتقدات بين نزار والشاعر الذي يمت له بأكثر من صلة. فنحن بإزاء سلسلة من الشعراء الذين يحملون هذا المعتقد.. وصولاً إلى العباس بن الأحنف وأبي صخر الهذلي وعمر بن أبي ربيعة. فكل الشعراء- العشاق- الفرسان- المغامرين يقرأون آيات بعضهم بعضاً. وهكذا يقتفي واحدهم سلفه ويتمثل به:

نزارُ الذي قدْ أرانَا نهود اللغةْ

تشبّ إلى فوق،

وهي تشقّ قميصَ الخَيالْ

قوة التعبير تساوق قوة التخييل. صورة النهود تتشابك مع صورة اللغة وكلتاهما تشرئب وتتسامى وتتدافع إلى العلاء. وبما أن السلف يوصي إلى الخلف ويورثه فإن النهود واللغة هي الوصية والإرث:

تركتَ لدينا النهودْ

طفولَتُها في يدينا أمانَهْ

لا تخفْ. نحنُ أهلٌ لها

سنفتحُ من أجلها كلّ يومٍ

حضانَةْ

وكما أخذ النهود أمانة فإنه يرث اللغة "بما عندها الشمس وقت الغروب من كلام الذهب". وبانحناءة احترام يودع الشاعر الراحل:

"نحط لك التاج

ننحني ونحييك
في منتهى الاحترام
في منتهى الياسمين".

يقدم الشاعر ولاءه وينحني في منتهى الاحترام، في منتهى الياسمين، دليلاً على احترامه وولائه. أما عنفوانه وقوة شكيمته فتبلغان به حدود القتل حين يواجه أدعياء الشعر، فهم يدفعونه إلى القتل:

لم يصرْ منذُ أبينا آدمٍ
أدعياءُ الشعر
في هذا العددْ
رغمَ هذا - صدّقوا -
أنا حتى هذه اللحظةِ
لم أقتلْ أحدْ !

تقوم النكتة هنا على كبت انفعال لو ظهر لأصبح مدمراً. فمنتهى الكف يتقابل مع منتهى الرغبة. ومن التوتر بينهما تتفجر ضحكة القارئ. وهو يجيد لعبة الجد مقابل الانفعالات ليحصل على ضحكة من القارئ. أو ابتسامة سرور:

قرّبا مربط القصيدة مني

واتركاني أهيم في خلواتي

إنه الوقت كي أجرّد سيفاً

يعمل النور في بطون الجهات

لن أخلّي الجمال يرتاح حتى

يرتمي ضارعاً إلى أبياتي

المطلع "قرّبا مربط النعامة مني" أصله شطر من بيت وتتمته "لقحت حرب وائل عن حيالِ" والنعامة هي فرس الشاعر، الحارث بن عباد، والحيال من حالت الناقة إذا لم تلقح. أي أن الحرب لم تسفر عن نتيجة، وعليه أن يشترك فيها ليغير مصائرها. وعلى ذلك يكون تغيير المطلع "قربا مربط القصيدة مني"

حماسة شعرية تعارض الحماسة الفروسية. فإذا كانت غاية الفروسية أخذ الثأر فإن غاية الحماسة الشعرية أخذ الجمال ونواله والنيل منه. وهذه هي المفارقة بين الموقفين. إنها مفارقة لا تثير الضحك بل الدهشة. فالشاعر يأخذ النظم مأخذ الجدية التي تعادل أخذ الثأر. ويبدو أن بنية المفارقة التي تثير الدهشة تشكل النموذج paradigm الذي تنطلق منه كل بنى المفارقات في القصائد الجدية . فرغم جديتها يظل بها شيء من الخفة ناتج عن طريقة البناء اللفظي. ففي قصيدته "أليسا" يقول: "حضور يشنّ علينا الذهبّ". فكلمة "يشنّ" تلبسّ على المعنى وتكشفه، ولو أنه في نهاية الأمر يصور حضور امرأة شقراء. لكن الاستعارة تتفجر وتتشظى في جهات متعددة. فالمعنى المألوف: شن غارة. وقد نبعد الاستعارة فنقول: شنت طلعتها علينا غارة شقراء أو ذهبية. أما أن نحذف كل الزوائد ونقول: حضور يشن علينا الذهب، فهذا تكثيف يورث التلبيس. وبهذه الوسيلة يصير فهم السطر التالي سهلاً: "حضور يهز القصيدة من جذعها... " مرة أخرى الدهشة تفضي إلى الابتسام والتعجب. وهو يحب الإيحاء:

تشيد الظلالْ
هذي طريقتها في الكلامْ

ويتفنن في هذه الطريقة من الإيحاء:

أُحيلُ الحديثَ بشأن عذوبتها
للندى
أحيلُ الحديثَ بشأن رحابتها
للمدى

ولكي يشعرنا بقوة شكيمتها وبأس محضرها يبدي جانب اللين من نفسه:

لها طلعة لا هوادةَ فيها
لها باعها في الحريرْ

فهنا تتحد المتناقضات في تركيب جديد. فبأس طلعتها يمعن في الحرير رقة وليونة. وهو يحصل على لذة جمالية من هذا التوتر اللفظي إلى الحد الذي يجعله يستعمل صوراً عامية بتعبيرات عامية "تأخذ من أذنيه الزمان". وهي صورة مدهشة في هذا السياق الجمالي:

وهذي أليسا
تجيء على ظهر أسطورةٍ
تعيد المكانْ
إلى الألقِ الأولِ
تأخذ من أذنيه الزمانْ
وترجعه مرغماً

إلى فسحة السحر في بابلِ
فالشاعر يصور أليسا بصورة ساحرة تركب على مكنسة وتقود الزمان مرغماً إلى أيام بابل. فوظيفة هذه الصورة الناتئة- لكي لا نقول النابية - أنها تمنح السياق متانة بواسطة عاميتها. أي لا يبقى الجمال ملائكياً ولا يبقى الجو رومانتياً. وهو، عموماً، يجنح إلى الروح النثرية لتقوية الموقف الشعري في القصيدة:
مثلاً:
هذه لوحةٌ
قف أمامَ المساحة فيها
أمامَ معابر أسرارها
تمعّنْ بها جيداً
أَتَرى كيف تفاحُها احمرّ من حالهِ
حين مدتْ إليه يدا ؟
فالتعبيرات النثرية" مثلاً" و"احمر من حاله" تشد من أواصر التعبير الشعري ولا تأتي غريبة عنه بل مدهشة. أي لا نصدق أنها موجودة وواردة حين نقرؤها لأول مرة. لكنها تملح حين تتكرر:
مثلاً:
هذه لوحة ثانيةْ
....
وهذا الرخامُ الرخيمْ
هيَ حيّت به المشهدا
فالمقصود من رخامة الرخام الرخيم تصوير يدين بيضاوين وملساوين. ثم انظر إلى هذا الدوبيت:
إضافتها في الجمالْ
تُرى من بعيدْ
إضافتها في الغزالْ
تركضُ فوق سفوح النشيدْ
فليس ثمة كلمة ملتبسة مثل "إضافتها" فهي واضحة غامضة وهي بسيطة إلا أنها مركبة. أليسا تضيف إلى الجمال. ماذا تضيف؟ لك أن تتخيل.
يختم الشاعر معلقته "أليسا" ختاماً فخماً. وقد لاحظنا من دراستنا لقصيدته عن نزار كم يعتني الشاعر بفخامة المطالع والخواتيم:
سلامٌ عليها
أتمتْ عليّ نعومتَها

وأرختْ على ماءِ روحيَ صفصافها
سلامٌ عليها
وقد نشر الصبحُ آلاءهَا
سلامٌ عليها إذا غاسقٌ قد وقبْ
غاسق قد وقب يعني أفول الشمس عند الغروب وأفول القمر آخر الليل. فهو ينقل إليها التحية آناء الليل وأطراف النهار وذلك كما حيّا نزاراً بأن أهداه تاج الشعر وحياه "بمنتهى الاحترام بمنتهى الياسمين"
الفرضية الأساسية التي قامت عليها هذه الدراسة وتسعى إلى البرهنة عليها هي أن بنية المفارقة واحدة في شعر صقر عليشي سواء في شعره الجدي أو في شعره الهزلي. وقد فككنا بنية المفارقة في شعره الجدي في الفصل السابق، بقي علينا تفكيك بنية المفارقة في شعره الهزلي فإن وجدنا البنيتين متشابهتين فالفرضية صحيحة:
دون حَرَجْ
أفضتْ لنا بثغرها
تحتَ الدرجْ
فابتهَجَتْ
أيضاً أنا ابتهْجتْ
في حين كان الابتهاج واضحاً
على الدرجْ
في هذا الجو من الحبور العام يصعب التحدث عن بنية مفارقة: وربما نجد ما نبتغيه في قصيدة أخرى أقل تصعلكاً. ونختار هنا قصيدة بعنوان "نساء" هكذا بالجملة. فبعضهن كما العشب يمتد أخضر وبعضهن يدير علينا النبيذ وبعضهن يدير الفلك:
بعضهن كما الغيم
يمضي
ولكنه يترك الأفق لكْ
فينفتح الأفق مع نسائم الأنوثة وروائح النبيذ.
ونطلع من دنيا الأنوثة باستبصارات على الحياة وصلتها بالجنس اللطيف واللذة التي تنبعث منه فنصاب برعدة تغير كياننا تجاه الأنثى وتجعلنا نشعر بأنها أكبر وأننا أصغر:
كأنما هي من علياء قامتها
موكولةٌ بشؤون الريح والمطرِ
ولوعتني بما يكفي وقد وقفتْ

فوقي سماواتها مكتوفةَ القمرِ
هذا الموقف المتصاعد يتخذ الرجل حين يجتاحه بأس المرأة لجمالها أو روعة مطلقها أو قوة شكيمتها أو وفرة الرقة والنعومة بحيث تجتاح الرجل فلا يعرف كيف يتصرف وقد وفق الشاعر في التعبير عن هيبة الجمال حين رآها تطل عليه من علِ. كما أنه تصرف إزاء موقفها المتمنع وكأن فوقه سماواتها. في بعض الأحيان يُظهر الشاعر سذاجة تدفعنا إلى الابتسام:
وقفتْ قدام المرآةْ
فامتلأت أعماق المرآة ذهبْ
وقفتْ قّدامَ العالَمْ
فامتلأتْ سلّته دراقاً وعنبْ
وقفت قدّام العقل الكامل
فذهبْ
والعقل يذهب أمام المرأة الجميلة والنكتة اللطيفة والنبيذ الجيد - محاربة الكبت وظيفة هذه العناصر فالعقل والحكم النقدي والكبت هي القوى التي تصارعها النكتة. والنكتة تستخدم التقنيات ذاتها التي يستخدمها الحلم، الإزاحة، التكثيف، التمثيل بالتضاد. ولهذا جاءت صورة المرأة في مرآة لأن المرأة مثل الحلم تسمح للمرء أن يرى نفسه. غير أن فائدة الأحلام أنها وقاية من الألم أما النكتة فتمنحنا لذة. ولكي نرى كيف يتفلت الكبت ويتسلل إلى الوعي، نقرأ قول الشاعر:
"وأنا أتطلع فيها
كنت أشاهدُ
كيف حشيش الرغبة
ينمو في عينيها".
الحشيش هو الرمز الخالد والأبدي لشعر المناطق المظلمة في المرأة. وإذن فيما كان يتطلع إلى عينيها كان يتخيل شعرها المخفي ويحس بتحركات مريبة في أوصاله - هنا تأتي تقنية الحلم في قلب المواقف والتمثيل بالتضاد. للبرهان على ذلك ننقل قوله في قصيدة "جاهزية":
رأى النبعَ معْ عذوبتهِ
عاريينِ وراءَ الصخورْ
فانتصبتْ مفرداتُ الكلامْ
إن فعل "انتصبت" يقلب المشهد ويظهر أن النبع مع عذوبته هما نهدان يؤدي مشهدهما إلى أن تنتصب مفردات الكلام. إن ورود مثل هذه المفردات أشبه بزلات لسان تتسلل إلى القصيدة فتعبر عن المكبوت في نفس الشاعر. الدليل

على ذلك أنه حين يعالج موضوعاً جنسياً معالجة مباشرة يستغني عن التلميح والكناية:

ساقانْ
ساقانِ لا تغيبُ الشمسُ عنهما
....
ساقانْ: صراحةٌ كاملةٌ هما
ساقان: يمكن أن نرى مستقبلَ البلادْ
على ضوئهما
ساقان: يفرضان في أيّ حوارْ
رأيهما.

فهذا التمجيد للساقين بمثابة جهر صريح بالرغبة. مثل ذلك نجده في قصيدة "ثقافة بصرية" حيث يرى "فتيات جئن البحر على غرّهْ.. ":

وأنا و البحر وقفنا مذهولين
ورحنا نقرأ:
سراً .. سرّهْ
نقرأ .. ونعيد الكرّهْ

ثمة تعبيران يحملان سر الشعر: "ساقان: يفرضان في أي حوارْ رأيهما" و"ونقرأ ونعيد الكرّهْ" تعبيران يؤكدان على الرغبة بصريح العبارة. وإن كان من الملاحظ في أي حوار أن السيدة تغير وضع ساقيها حين تدلي بحجتها..

وعلى العكس المتصاغر ثمة المفاخر المتبجح الذي يدعي بأكثر مما يستطيع أو يتمكن أن يفعل:

قولوا لها تكفّ عن روعتها
قولوا لها: قد بلغ النهد الزُّبى
قولوا لها: تزيح عنا صدرها المُطلاّ
قولوا لها...
وإلا..!!

من السهل أن نلاحظ أن بنية النسيج اللفظي في شعره الساخر تبدأ بتوتر عال وتنتهي بمفارقة تثير الابتسام. فذهاب العقل وانتصاب مفردات الكلام والساقان اللتان تفرضان رأيهما في أي حوار وتهديد العاشق الخائب، كلها تنتمي إلى بنية ساخرة واحدة قائمة على المفارقة. ففي قصيدة "اعتراف متأخر" يختم القصيدة بقوله "وعلى كل لم يذهب ذاك الوجد سدى" فنسمع صوت المتفاخر بفتوحاته يتحدث كيف أغرى صديقة صديقه. وكما أنه فخّم المطلع في قوله التضميني "قربا مربط القصيدة مني" نجده يستعير قول الشاعر:

ذهب الذين أحبـهم

وبقيت مثل السيف فردا

أو قول آخر:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم

وبقيت في خلف كجلد الأجرب

يقول:
ذهب الذين نحبـهم ذهبـوا
وبقيت بعدهم على الأطـــلالِ

نقّل فؤادك حيث شئت من الشجرْ
ما الحب إلا للنخيـل العـالي
و"نقل فؤادك" يعود إلى البيت المشهور لأبي تمام. والنخيل العالي كناية قديمة جداً عن المرأة الطويلة. هذا المعنى في التضمينات والكنايات والاستعارات يجعل النص كثيفاً متوتراً تفشل الخاتمة في التنفيس عن الكبت الذي فيه. أي أننا هنا إزاء حالة يتابع الشاعر فيها تخزين الطاقة النفسية المكبوتة ولا يتمكن من إطلاقها بنكتة مجلجلة. هناك عدة مقطوعات تنتهي نهاية هادئة مثل الخاتمة في قوله "فظةً كنتِ، بالمختصرْ" وأحياناً تتفجر المفارقة بين القلب والجنس فلا يبقى ولا يذر:
شمّرتُ عن قلبي وجئت إليكم
يا ليتني شمرت عن سيقاني
هنا خرجنا من السخرية إلى الهزل. والفيصل بينهما أن المتكلم في السخرية يكون عارفاً بالمعنى المزدوج لكلامه في حين أن ضحيته غير واع بما يجري له ومن حوله. أما في الهزل فيعرف الطرفان المعنى المزدوج للكلام وتنعدم المفارقة. ففي قوله : »ونحن أناس كُتب علينا التفاح« قد يفهمه المتكلم والمخاطب. كذلك ينعدم طرفا التوتر في قصيدة الهزل فيقول الشاعر:
منذ رسوخي في علم التفاحْ
ما شاهدني أحدٌ
إلا وأنا مرتاحْ...
ويقول:

لم تعط تفاحتها آدماً
كي يهبطا من بعدها الأرضا
حواء بالتفاح كانت، فقط
تريده أن يعرف العضّا

تنعدم هنا المفارقة الفكرية القائمة على التوتر وتأتي الضحكة من جدة التأويل وجودته. ففي شعر الهزل ينعدم العنصر الفكري وتتوالى المشاهد على هون، كما في قصيدته "غرفة بابا توما":

إنها غرفة لها وقعها الخاص
في الشعرْ
لها طَعمها حين تذكرُ
فاكهةُ العمرْ

....
غرفةٌ، نقول المديح بها ونُطيلْ
نقومُ احتراماً لها ولكل النساء
اللواتي مررن بها
وعَمَلْنَ الجميلْ

في الختام: هذا هو صقر عليشي. شاعر يقتحم المحرمات بفكاهته وخفة دمه وذكائه وعاطفته. قد ألَّف شعراً يجمع الخفة والطيش إلى الرزانة والانتماء والمسؤولية - أقصد الانتماء الشعري وليس السياسي. فهو ينتمي إلى الدولة القبانية في الشعر النزاري. وهو بارع في استخدامه السخرية بكل أنواعها، بارع في إلقاء الهزل على عواهنه. يستطيع استثمار توتر البنية اللفظية في إطلاق المكبوت من الطاقة النفسية، مع جمال وصنعة وبصر في الشعر. ولعله من أهم المساهمين في تأسيس شعر البداهة والفطنة بالعربية: **Wit Poetry**

صقر عليشي يرسم
د.حسين سرمك حسن

طريقة فريدة يبتكرها "صقر عليشي" في ابتكار فن جديد ومركب يرسم فيه اللوحة إجرائيا على الورقة في صورة قصيدة. هي ليست مشابهة لطريقة الراحل نزار قباني في "الرسم بالكلمات"، أي أن نصوّر الموجودات المحيطة بنا بفرشاة الكلمات إذا جاز الوصف. في محاولته هذه، يخلق صقر أسلوبا فنيا جديدا يعرض فيها آليات الاشتغال الإبداعي التشكيلي من "باطنها"، ماذا يحصل عندما يرسم الفنان لوحته شعريا، ويكل للشاعر تصوير الآلية. أي أن الشاعر يلعب دورا مزدوجا في الآن نفسه، تكون نتيجته ما يمكن وصفه بـ "شاعر تشكيلي". في قصيدته "في رسم بقرة" يبدو الموضوع معكوسا من خلال إيحاءات العنوان بسيطا، فهو لا يزيد على تصوير حيوان معروف هو "البقرة". لكن الأمر معقد، بل شديد التعقيد، بدءا من قرار الشروع، فكرة الرسام في رسم البقرة عمليا، استهلال قصيدة الشاعر:

"قلت لنفسي:
أسهل لو نرسمها في المرعى
وهي تقضّ الأعشاب الغضة .."

يريد الرسام الذهاب إلى موضوعه في فضائه "الشخصي" ليرصده حيّا في حركته النابضة، ولا يريد استخراجه من أرشيف ذاكرته، ليصوره ناقلا إياه من فضاء التخيل إلى قماشة اللوحة. في الحالة الثانية يتم استدعاء صورة الكائن، "جلد" وجوده ليحاول الفنان نفخ الروح فيها لتصبح صورة "حيّة" ساكنة، حيّة بالتجسيد واللون وعلاقات الضوء والظل والنور والظلمة وتجليات المنظور وغيرها.. وكلها لا "تحيي" بصورة كاملة.. يبقى الموضوع خارج حقله والبقرة خارج مرعاها وهي تقض الأعشاب الغضّة كما يرى صقر. لكن انتقال الفنان إلى "الحقل" الذي "يحيا" فيه الموضوع، يوفر له معايشة الفعل الحيوي وهو يؤدي تفصيلاته، فـ:

"هذا يعطي اللوحة نضرتها
وتلائم فيما لو علقها أحد ما
يوما في الصالون
فلون العشب يريح الجدران .".

ولكن هذا لا يحققه الرسم بصورة تفوق الشعر أبدا.. يتساءل مؤلف كتاب "القصة السيكولوجية" عن الكيفية التي يستطيع بها الرسام تصوير صرخة

قطار في فضاء ليل شديد الظلمة؟! وفي المآل النهائي يتم تعليق البقرة على الحائط، مع المراهنة على القدرة التصويرية للرسام في تجسيد الشكل الذي سيبقى ستاتيكيا. فالشاعر الرسام يعمل الآن على "تأثيث" اللوحة بموضوعات مكمّلة، "إكسسوارات" الصورة إذا ساغ الوصف، فهو يشعر أن هناك متغيرات وموجودات مكملة تعاضد الوجود الحيواني للبقرة، وهي تقضم العشب الهش في المرعى:

"إن مرّت في الأفق غيوم
سأثبّتها
لن تجتاز سماء اللوحة
ما أمكنني ."

أي أننا سنعود إلى عملية "التثبيت" من جديد، هذا قدر الرسم، قدر التصوير الذي لا يستطيع الرسام أن يخرق حدوده أبدا.. تبقى البقرة متحركة في المرعى وثابتة في اللوحة، تظل الغيمة البيضاء منطلقة جذلى في سماء الحقل في حين يثبتها الرسام في "سماء" اللوحة.. وهو- أي الرسام محكوم بهذه الحدود- ولو أراد ترك الغيمة متحركة فعندها ستتحول الغيمة من لون إلى كلمات، وهنا يتحول الرسم إلى شعر.. وهنا تحديدا يكمن مكر الشاعر، مكر صقر عليشي، فهو، في إضافة مضاعفة شديدة الإيحاء والسمّية الخلاقة، يترك دائرة للشمس يملأها بعصير الليمون الطازج. عملية الملأ هذه من اختصاص الشعر وليس الرسم، ولكن عملية "تلوين" الدائرة الشمسية في اللوحة من اختصاص الرسام. الرسام لا يمكن أن يرينا كيف "يملأ" دائرة الشمس بعصير الليمون الطازج، نحن نشاهدها أخيرا ممتلئة لونيا، لكن "حركية" العملية، القصدية الفنية يجب أن تكون شعرية، أما باقي الفنون، نستثني الموسيقى بطبيعة الحال، فهي تنفيذية وإجرائية، الشاعر "يخلق" فعلا رغم أنه يقول ما لا يفعل، إنه قادر على أن "يملأ" قرص الشمس بعصير الليمون الطازج، وهذه ضمن حدود لعب اللغة في دورها الشعري، لكن تخيل رساما يحاول ملأ دائرة الشمس على قماشة اللوحة بعصير الليمون:

"ولأجل الشمس سأترك دائرة
في الأعلى
أملؤها بعصير الليمون الطازج
ضوء الليمون لديه سطوع
لا يُخفى
ولديه علاقته الودية بالألوان ..".

سطوع ضوء الليمون، وعلاقاته الودية يدركها الرسام بصورة أكبر، لكن تبقى عملية إفراغه في جوف الشمس الحامي مرهونا بقدرة شاعر. وقد يقول قائل إن السينما تعرض هذه العملية بصورة أدق، فنجيب إن السينما لم تمتلك تلك الإمكانية إلا عندما اختنق الفعل التصويري بالشعر واستعار آلياته.. ورغم ذلك لا توجد في الفن السنيمائي ممكنات صب عصير الليمون في جوف الشمس بفعل خرافية بُعد الأخيرة وأبعادها، وجحيمية أوارها. ويوغل الشاعر في توريات "النقدية" حين يحذرنا من أي حركة قد تحصل في اللوحة.. لأنها ستجفل طائر الوقواق الصامت في أعلى شجرة الحور.. أي نأمة حركة، أي همسة، تعني سريان الروح في جسد اللوحة، ستصبح "حيّة"، وستتشابك علاقات مكوناتها وتتفاعل كما يحصل في المرعى الفعلي، وهنا نعود من اللوحة إلى الواقع:

"ولنأخذ حيطتنا
لو يصدر أي خوار
يهتزّ فضاء اللوحة إذّاك
ويجفل منه الوقواق الواقف
في أعلى شجر الحور ..".

في اللوحة، ويا للغرابة "الطبيعة صامتة"، وفي القصيدة، وهذا سرّ الشعر، تكون "الطبيعة صائتة"، بل هي لا تتمثل حضورها الشعري من دون صوتها وحركيتها الأصيلة. ولكن هناك ما هو أشد خطورة في دور الشاعر، صقر عليشي تحديدا كما أشرنا سابقا، هو حركات "الروح" التحرّشية التي لا يمكن أن يدخلها الرسام إلا في خلفية اللوحة غير المنظورة أبدا بالنسبة للمتلقي. ألهذا حذّرت الآلهة من الشعراء ولم تحذّر من الرسامين؟! الشاعر يفترض أن البقرة قد بدأت بحركة جامحة لا تنقطع رغم كل اشتراطات الحذر. تحركت فأفسدت سكون مكونات اللوحة. ولكي تهدأ يعلن أنه على استعداد كي يقرأ "سورتها" كاملة. أي سورة "البقرة" التي هي أطول السور القرآنية بإطلاق. وهنا يتكشف جانب مما هو "مبيّت" في مشروع الشاعر، وهو يبتكر مقتربه الفريد في الشعر التشكيلي. لقد سار إلى البقرة ليصورها في مرعاها، هكذا ببساطة. مطروحة أمام بصره الشعري وريشة كلماته. صورها وعلقها على الحائط، بعد أن ثبت من أجل استكمال جمالية إطارها، الغيوم، وملأ الشمس بعصير الليمون الأصفر. بعيدا عن تعقيدات تلك البقرة الشهيرة الفاقع لونها. والمتهادية الذلول. بقرة الشاعر لا يمكن أن تسكت. هي حيوية تقضم العشب.. متصالحة مع ما حولها. ولا يمكن "تثبيتها" حتى لو رتل الشاعر "سورتها" كاملة:

"نذراً

سأرتل "سورتها" كاملة
لو هدأت
سأمثل هذا الدور
وسأرسل صوتي في آناء الليل
وأتركه يتهجد بالإيمان ."
مثابرة جسور في الإطاعة الإيمانية من أجل إسكات بقرة يربكك البديل الصوتي الذي يجترحه صقر من خلال جملة "سأمثل هذا الدور". وهو يدرك تماما أن إصراره على إطلاق صوته آناء الليل يعني حركة موازية تعبث بهدوء مفترض. يتم "تمثيله". لكن هذه السكونية التي هي ضد منحى الإبداع، الإبداع الذي يخلق. ولا علامة للخلق سوى الحركة. في البدء كان الفعل كما يقول معلم فيينا وهو يسبر غور العالم الداخلي للإنسان البدائي الذي لم يترك لنا وريثا أمينا أشد أهمية من الشاعر الذي يزاوج الآن بين الفعل والكلمة. وفعل البقرة الآن يطغى حتى على فعل الرسام. رهافة الحياة وديمومتها تكمن في تلقائية حركة مكوناتها وانسجام أدوار عناصرها. والإبداع الفذ يكمن في هذا الانسجام وتلك التلقائية. كان الرسامون يواصلون رسم اللوحة. في حين كانت بقرة صقر عليشي تواصل كتابة "قصيدتها":
"فيما نرسم نحن
امتلأ الضرع
وراح حليب ينساب
ويُرجع لوحتنا بيضاء
كأنْ
ما من شيء كان..".
هذا هو نبع الإبداع الذي لا ينضب. في حركته الحيوية ضمانة رسم اللوحة الكونية الكبرى. وهي لوحة شاعر. لكن كيف حصل أن ضرع بقرة اللوحة قد امتلأ حليبا وفاض فمحى جهد الرسام. لا أتذكر من قال أن رساما أكمل لوحته ثم دخل فيها وأغلق الباب خلفه، وترك كل شيء عصيا على التفسير رغم أن كل شيء كان واضحا؟! وبهذه الحركة الأخيرة يفتح صقر باب القصيدة التشكيلية. يدخل ويغلقه وراءه. تاركا البقرة في المرعى تقضّ الأعشاب الغضّة.
لكن من عادة صقر في مشروعه الشعري هو تقليب الظاهرة/ الموضوع/ الفعل الشعري على وجوهه، يعتصر متغيرات القصيدة حتى ثمالتها الدلالية والفلسفية والجمالية. ولهذا تجد أن أغلب قصائده تأتي في صورة "ملفات" إذا جاز التعبير، وهي سمة أسلوبية طاغية في منجزه الشعري. تحت عنوان رئيسي

للملف تأتي عناوين قصائد ومقطوعات فرعية تجسد جوانب الملف/ القضية المختلفة/ الإشكالية الوجودية/ الظاهرة الكونية. خذ هذه الأمثلة:
-في ملف "نوافذ" هناك قصائد: نهر العاصي، أغنيتي، بيت، قمر، نهار، الحرية، و"فقط"- مجموعة "قصائد مشرفة على السهل".. وقل مثل ذلك عن ملف "الأغاني".
-ملف "على قمة الخيال" يتضمن تسع قصائد هي: سنكتب شعرا، لم نزل قادرين، لوحة، لمسة أخيرة، وئام، هكذا نحن، حوار في الجغرافيا، قصيدة البحر، و"سلامات"-مجموعة "الأسرار"-وهكذا الحال في ملف "الأسرار" الذي حملت المجموعة عنوانه.
-في مجموعة "قليل من الوجد" خمسة ملفات هي: في رحاب القصيدة، في رحاب الأنثى، نقوش خاصة، تفاحيات، و"غرفة باب توما".
والشيء نفسه نقوله عن مجموعتيه: "أعالي الحنين" و"عناقيد الحكمة". وفي هذا المنحى التقنوي الأسلوبي تلتحم الرؤيا بالرؤية. هنا يصمم الإطار الرؤياوي الخطوات الرؤيوية المعبرة بتصميم مسبق. وفي "ملف" مشروع الشعر التشكيلي تأتي القصيدة الثانية "في رسم نمر" لتكمل القصيدة الأولى لكن مع استهلال مغاير من ناحية إيقاع التوتر النفسي، ففي محاولة رسم البقرة (الثقيلة) وحتى البليدة في مرعاها ذي العشب الهش كان الشاعر الرسام مسترخيا، مزاجه رائق، شهيته مفتوحة على الألوان والشمس والغيوم. ورغم أن مشكلته كانت الكيفية التي يحافظ بها على الروح "السكونية" للوحة في محاولة يائسة لإيقاف زمان حركة الموجودات في إطار المكان المحدد- المرعى منقولا عبر ريشة المفردات التشكيلية إلى اللوحة-، حيث ابتدأ المشروع من نقطة صفر حياتية يومية ليعود إلى نقطة صفر معرفية وجمالية وفلسفية "بيضاء" لكن عميقة، إلا أن الشاعر "دخل" مشروعه وجرّب وحاور ذاته واستقصى آليات إبداع وأفكار مختلفة. كان القدرة المسيطرة التي تصف وتدير وتتحكم برهاوة وبروح منتشية بل ساخرة. أما في المحاولة الثانية "في رسم نمر" فإن التوتر المخالف للسيرورة النفسية السابقة يتجسد منذ الاستهلال:

"تتعبني جدا يا نمر الغابة
فاهدأ
أو أفلت نحوك
أشعاري ."

وليست مفارقة أن شعور الرسام بالعجز عن ملاحقة النمر وتصويره بفعل عنفوان حركته الساحق، وتحوله نحو المهادنة "فاهدأ"، تعقبها نبرة التوعّد "أو أفلت نحوك أشعاري"، ففي التصوير التشكيلي لا يمكن ان تلحق عين المصوّر

مهما كانت حادة وخبيرة في التقاط و"تسكين" هذه الانفلاتة الساحقة لكائن حرّ، جوّاب آفاق وغابات. بل مطلق الحرّية. ولذا فإن "فهد" الكلمات/ كلمات الشعر، هو المهيأ للحاق بموضوع يربك إمكانات المصوّر إلى حدود متناقضة مشوّشة:

"كم أحتاج سطوع الشمس
لأوضّح هذا اللمعان هنا
ولأرسم ظلك
أحتاج خفوت الأقمار."

هكذا ينبغي ضبط فعالية الظواهر الكونية "سطوع الشمس وخفوت القمر"، لتناسب تجسيد تحولات الضوء والظل على جسد الموضوع، وهذا ما تعجز عنه ريشة المصور، ولكن تستطيع مخيلة الشاعر التشكيلي ضبطها بوثبة المخيال الشعري. وهذا يكشف سعة إمكانات الشعر، مقابل ضيق إمكانات التصوير، فلا توجد لدى الأخير ألوان تتمطى أو ريشة توازي في فعلها الاقتحامي جرأة النمر وحدته في الإبصار:

"من أين سأجلب ألوانا
تتمطى
من أين لها أن تمشي
طوع بناني الريشة؟
كيف أزيد رشاقتها
لتجاريك خطوطا في
الجرأة
والحدة في الإبصار؟ ..".

وكأننا في أطروحة تخالف الأطروحة المتقدمة لـ "أندريه جيد" الذي يرى أن الفن يحاكي الطبيعة أولا لكي يخلق أنموذجا تعود الطبيعة نفسها لتحاكيه بدورها. فعل خارق للفن يخلق طبيعة جديدة وكونا جديدا، لكن تبقى النواة التي يتأسس حولها المشروع الجديد هو الطبيعة الأصلية ذاتها. وهذا ما تأخذ روحه/ جوهره أي محاولة لتصويره. الدرس المركزي الذي يريد صقر عليشي غرسه في اذهاننا -كما نستنتج- هو أن الفن –وفق منهجه "الطبيعي"- سوف يبقى يلهث خلف الطبيعة، خصوصا عندما تكون الطبيعة في ذروة وثبتها الأصيلة، وعندما تمتلك الفضاء الكامل الذي يؤمن هذه الحرية العزوم، وعندما تكون متوحدة مع ذاتها ، مشحونة بطاقات فطرتها، "فمهما قدمنا من طعام للذئب فإن بصره يميم شطر الغابة"، إن صقرا –واسم صقر لكائن يوازي في فضائه فعل نمر في غابته- ينتصر لمنهجه الشعري/ لرؤياه في أن الطبيعة لا يمكن أن "تُثَبَت" أو "تُصوّر" إلا بتلبس روحها الهادرة. رؤيا لخصتها تساؤلات ختام الحيرة في

القصيدة، حيث يجهض النمر المنطلق نحو الأعالي نوايا الفنان الذي يسعى لتثبيته كي يصوره بدقة ناسيا أن هذه هي الخطوة المستقيمة نحو نزع الخصائص العارمة التي تجعل النمر نمرا، فلكي يصور الفنان وثبة النمر عليه أن يدخل إعصارا إلى اللوحة. روح الفعل. كيف واللوحة تقيد وتؤطر وتثبّت؟!:

"كيف سأقبض
- حين عدوت..
على إعصار أدخله اللوحة؟
أو كيف لها أن تأخذ منك
الوثبة
أفكاري؟ ..".

لقد صور العديد من الرسامين الموت من خلال تعبيرات ورموز متنوعة حاولوا فيها أن يقدموا "تصويرا" دقيقا لما يعنيه الموت وتأثيراته النفسية، لكن حين يقول شاعر العرب الأكبر "محمد مهدي الجواهري" واصفا الموت:

ذئب ترصّدني وفوق نيوبه دم إخوتي وأحبتي وصحابي

ويجعل المتلقي يتساءل عن سبب استخدامه صيغة "نيوب" وليس "أنياب"، فالتساؤل الذي يرتبط بمشروع صقر عليشي ورؤياه سيتمثل في الكيفية التي يصور فيها الرسام الفارق بين النيوب والأنياب بريشته، على اللوحة.. هنا نحن بحاجة إلى الشاعر التشكيلي بقوة.. وهذا روح الأطروحة الجديدة لصقر عليشي..

المعنى المنفيّ فوق التل

ناظم مهنّا

إن كنت تبغي المعنى، أو اصطياد فراشاته، فاذهب إلى التل، وإذا لم تجده هناك، تربح هذا الصعود، والخروج من قيعان الوادي! هذا الشعر المرح "معنى على التل" لصقر عليشي، يستدرجنا للصعود. في رحلة الصعود مع الشعر، نتخفف من أحمالنا، من المفاتيح التي لا تناسب الأقفال ولم يعد لها لزوم، وما من باب ليفتح بها وما من يقين، مجرد من الأشياء، إلا من "أناك "الفرحة، المتخففة، من الذات الخائبة والمتعالية أيضاً التي قررت أن تعبر نحو التل متخففة من محمولاتها، أتريد مفتاحاً للمعنى؟ إذن، يقول لك الشاعر: "خذ المفتاح وادخل في الضبابِ/ وعبَّ من الغموض على حسابي/ وحتى لو عثرت على جواب/ فلا تأبه/ وعفه هناك/ وارجع خفيفاً/ ليس عندك من جواب".

الصورة الشعرية الأنيقة، وموسيقى الكلمات، واللفظ والمعنى، وكل المكونات الجمالية للشعر هي تحصيل حاصل في شعر صقر عليشي، وتمسكه بهذه المقومات الشعرية، بلا تفريط نابع من الروح الكلاسيكية الحساسة جداً حيال بهاء الشعر وصفائه وعذوبته. وديوانه هذا "معنى على التلّ" غير منقطع عن خطه الشعري الصاعد بإصرار نحو أعلى التل، جهراً وفي وضح النهار. والبحث في جماليات القصيدة عند صقر، هو أمر مغر، وربما يحتاج إلى زمان ومكان آخر. وما أنوي الإشارة إليه بعد الانطباع الأولي عند قراءة هذا الشعر، هو البهجة لهذه السلاسة ولهذا الوضوح المشرق، والعناق مع الضوء، والحركة تحت شمس لا تغيب، ما يشبه حركة السهم المنطلق نحو الضوء، إذ لا ليل، لا عتمة، لا ظلام، لا غيم، ولا حتى سحابة صيف تعكر صفاء هذا الضوء! الليل متروك لشعراء العتمة. هنا التوهج حيث لا خطيئة ولا ندم، لا مكبوتات، لا أسرار، بل لذة الحياة بصراحتها بوضوحها الجلي، حيث الإنسان يهزأ، يسخر، يضحك، يحب، يندهش، يفعل ذلك في الضوء في السطوع الدائم لنهار الشعر، رغم أن الشاعر لا يتفلسف، ولا يراود أفكار الفلاسفة، ولا يجعل شعره رجع صدى لمقولاتهم. بل يراود الضوء أو يتجول في الضوء، ولا شيء أفضل من ذلك ولينتج عن هذا التجوال، ما ينتج: أطياف أو موشورات ضوئية، شهب ومذنبات. لكن، هذا ليس هدفا بحد ذاته، ولنُذكّر بالمعنى فوق التل، والدعوة للصعود دون ضمانات بالعثور على أي صيد!

في شعر صقر عموماً كما في هذا الديوان، لا يعبر الشعر عن قلق الوجود ولا عن عبثيته، وكل المفردات الوجودية التي تتلبس الكثير من الشعراء، حتى ممن يدعون خلو شعرهم من المعنى، يقعون في المطب الفلسفي وتبعية الشعر للأفكار، أو أن يكون صدى للمقولات العميقة! هنا الشعر يمرق هازئاً من هذه المعمعة، بما يشبه الانبثاق، والشمس هنا ساطعة لا تغرب، وإذا ما استنكر أحد خشية أن يقف الزمن، فالشعر هنا أيضاً لا يكترث بفلسفة الزمن، لا بالحركة ولا بالثبات الفيزيائيين، فللشعر زمنه المرح، في هذا الزمن المرح الذي تبثه القصائد تكون الدنيا في حالة استيقاظ، ونشاط يدب في الكائنات كما يدب في اللغة، أليست اللغة كينونة أخرى، على حد قول أحدهم؟ أنشط الكائنات في شعر صقر: الثور، ثم الجدي أو الماعز الجبلي، والغزال، والإنسان الذي تسكنه كل هذه الأشياء على رأس هذه اللائحة الإيروسية وهي عفوية تنبض في شعر صقر، أما البغل فهو رمز للبطء، وهذه "ثيمات" ربما يعثر عليها القارئ دون أن يتقصدها الشاعر! وهذه حالات أجمل ما تكون في الشعر حين لا يختارها الشعراء بإرادتهم، وكأنها هبة تمنحها لهم الطبيعة لأنهم شعراء حقيقيون! هنا لا يوجد تجهم، بل أسارير منبسطة، وحافز حيوي على المضي مع الضوء، وهذه الحالة النهارية الطاغية، تجعل القصيدة تحتمل أن يقال فيها كل شيء، وعن كل شيء مما قد يقوله اليوميون، والعشاق والهازئون، في الشوارع والأقبية وفي القرى، وفي حافلات الركاب، أو أن تتكلم الأشياء الصماء: الدائرة، الإبرة، البصلة، النبيذ، المرآة، الغيمة، والسر، وهذه عناوين قصائد في الكتاب، وهي كلها مجتمعة تنويعات في إيقاع "القصيدة العالية" في مقطع من هذه القصيدة، يقول: "ليس قليلاً ما سرت على الطرقات/ وليس قليلاً ما جاب فضائي/ من غيم وحنين/ دون معين/ أرسي أعمدة الآمال/ وأعلي قوس البهجة/ دون معين".

هذا السير على الطرقات المتعرجة صعوداً، مثل مسير الصيادين، ربما، وبلا أي يقين، يمكن العثور على هذا الساطع فوق التل، أهو المعنى أم هدهد الحكاية؟ :" حتى لو كان الصيد غزالاً/ أو طيراً/ أو أرنب/ أو حتى نجماً، لنقل هذا جدلاً، هذا ليس مهماً../ من قال بأنا نبحث عما صاد الصياد؟".

هذا التشابك المموسق المبني على التساؤل واللايقين، والتهكم على ما هو مكتمل ويقيني، والتقاطع بين المتباعد من الأشياء، والمفارقات التي تومض في لغة القصائد القصيرة والطويلة نسبياً كضربة فنان حاذق في دوحة الشعر، يجعل الحضور الشعري المتفرد لصقر يزداد رسوخاً :" سترى هنا الآفاق تنشر حيرة/ وترى السراب أمام خيمته/ وراء المنحنى../ أما اليقين/ فما تدلت خصيتان له هنا".

الغزال لـ "صقر عليشي"

حـدود الفـنّ وآفـاق التجـاوز

د. وفيق سليطين

إذا كان الفن هو غائية بلا غاية ـ كما يقول كانط ـ فإن في ذلك قدراً ليس بالقليل مما ينطبق على قصيدة الغزال، أو غزال القصيدة، كما يجلوه صقر عليشي، وينأى به، في صوغه القريب ومباشرته الآسرة. ولأنّ غزال الشعر لا يرتدُّ إلى غير نفسه، بات من الممكن القول، جرياً على هذا الوفاق، إن قصيدة صقر تأخذ من ضروب الفنّ واتجاهاته المختلفة، دون أن ترتدّ إلى واحد منها. فهي غزال آخر ينظر في مرآة نفسه، فلا يحيل على غير "غزاليّته" الجوهرية، وفرادته التي يكون تعريفها مجرد مقاربة لها بالسلب والإشارة:

(وكانَ غزالاً
كالغزالِ
ولم يكنْ
ليشبهَ إلاّ نفسَهُ
في حكايتِهْ)).

حدود الشكل ومتغيرات التحديد:

يبني صقر عليشي قصيدته على نظام البيت، ويقيمها، عروضياً، على البحر الطويل، الذي يعيد توزيعه على نحو يتجاوز نظامه المستقر في تقابل المصراعين، ويبدي، في صنيعه هذا، مقدرة عالية على تطويع المبنى بكثير من المرونة، التي تتيح له إمكانية التصرّف بالكتلة اللفظية في هندسة القول، بحيث يفي بمتطلبات النظام العروضي الموروث، وبخاصيات التحديث الموصولة بمفهوم السطر الشعري، والعلاقة البصرية، ونظام الفضاء الأدبي، بما ينطوي عليه، في مغايرته القصدية، من مؤثرات شكلية، وموجهّات قرائية، وحمولات معنوية، ومكامن دلالية.

هذا، ويبدو لي أن تشريد الشكل العروضي عن مداره المألوف ومستقرّه الشائع هو، بنائياً، وجه آخر لغزال الشعر، في شروده وتأبيّه، وفي انطلاقته المتخطية للتحديدات المعنوية العالقة به، والمتفلّتة من قيود البلاغة التراثية المؤطرة له في دوائر التوظيف والاستخدام.

صحيحٌ أنّ المكوّن البلاغي حاضر، يلفت إلى نفسه بقوة الإدهاش والخَلْب،

لكنّ حضوره هو ذلك الحضور المنفي، الذي يجري استثماره بدلالة التبعيد لا التقريب . ومن هنا يغدو إشارة تُسلم إلى التجاوز، وتفتح السياق على أفق يبارح التعيين، ويندُّ عن شَرَك الحصر والاستهلاك. فالمكوّن البلاغي في قصيدة "الغزال" يشتغل، إذاً، بخاصيّته الإشارية، فيواجه جانب الإثبات منه بقوة النفي التي تعطّل الامتلاك، وتصون سياق التشكّل والتنامي والتوالد من الامتلاء والنفاد، فتمنعه من الانغلاق على المشار إليه بدعوى الإحاطة والتقرير، بل إنها، فوق هذا، تغذي فيه نشاط النأي والامتناع، فلا يكون ـ والحالة هذه ـ تطويقاً للشكل ولا قيداً على المعنى، وإنما يتقدّم من حيث هو شكل لمقاربة تجد نفسها في مواجهة نقصانها الخاصّ الذي لا يردم ولا ينطوي.

على هذا النحو يجري القول في الحدود البَيْنية، محتفظاً بامتناع مقوله، وعاصماً له بمنطق فنّي يستنفر الجهد ويضاعف التوتّر، من خلال الاحتفاظ بفجوات السياق المتأتيّة من مواجهة ثوابت الشكل بمتغيرات القول التي تبدأ بتأثيث فضاء الكتابة، ولا تنتهي بضخّ فاعلية الاختلاف ونسب العدول في جوانب النسج والتصوير:

((يسرّحُ لطفاً في الهواءِ
إذا مشى،
ويتركُ ومضاً خلفَهُ
حينَ وثبتِهْ.
وعيناهُ في إرناءةٍ منهُ،
راحتا
تلمّانِ أفقاً ذاهباً
في وَسَاعتِهْ.
صفاؤهما وشّى به النبعُ
ذاتَهُ
وقال قليلاً منه
أثناءَ رقتِهْ)).

اللغة وشعرية التحويل:

بلغة تتجاوز الوصف إلى الخلق، وتنخفض فيها درجة النحوية، أحياناً، إلى حدود اقتلاع العبارة من محدودات المعجم وضوابط السياق، بهذه اللغة التي تزكو قيمتها الإشارية يمضي صقر عليشي في إنجاز نصّ "الغزال" وإتقان نسجه، على نحو ما يتحقق في تراصف وحداته، وكثافة تأثيراته، وتنويع

استبدالاته، بما يرقى بالأداء الفني إلى مضاعفة تقطير ماء الشعر بلغة تعوّل على ذاتها، وتلفت إلى كيانها، وتزهو بخصوبة جسدها ومرونة قوامها، وتحتفل بتعدّد مستويات "الدال" فيها، وبطرائق مخض هذه المستويات معاً في لحمة تركيبية متقنة.

ربما كانت الظاهرة التركيبية، التي تضع القول في الحدود البَيْنية عموماً، متبدّية هنا، على المستوى اللغوي، خصوصاً، في المزاوجات التي يقيمها الشاعر بين العناصر والوحدات المتباعدة في طبقات النسيج اللغوي، وفي علاقات التفاعل التي تنتج، بتصادم المستويات اللغوية وانخراط بعضها ببعض، شرارات الشعر وأوهاجه المتعدية لرسوخ المعنى في سبل التدليل المذلّلة وطرائق الربط والإحالة، وهو ما يجعلها تنفتح على مناطق أخرى يحوم عليها نشاط التخييل، وتتدافع على أرضها المعاني الحافّة، بوفرتها الإيحائية الفائضة على ثوابت السياق. وعلى هذا الأساس يمكن أن نقرأ تفاعل مستويات اللغة وطاقاتها التركيبية، من القاموسي إلى اليومي، ومن الجزالة المعجمية إلى ما يشكّل اختراقاً لفظياً وعلائقياً لها، بدمج العادي والقريب من سبل التعبير وتحويلها به. وذلك ما ينعطف، من جديد، على ما سبقت الإشارة إليه من طوابع البَيْنية، وبهوت صور التحديد، وتلاشي درجات القطع، إلى غير ذلك مما يفتح دوائر التدليل، ويعلّق إمكانية استنفاذ المعنى، في هذا الجريان مع أفق القول، وفنيّة الأداء، التي تمنع مقولها من الانحصار والتحديد، بينما هي تأخذنا معها في تموجات اللذة الفنية والاهتزاز الجمالي.

قصيدة الغزال: من التعبّد البرناسي إلى الافتتان الصوفي:

ثمة إحالة متبادلة، يتجدد معها نشاط القراءة والتأمل، بين القصيدة والغزال. وعلى الرغم من كون الغزال مركزاً لوحدات البناء والتأليف، فإنه لا يلبث أن يردّ خاصياته على القصيدة، ويتناوب معها، في الوقت الذي تشحذ فيه القصيدة آلة المجاز، وتُعمل أدواتها في آفاق الفنّ، لتجلوه بها، وتردّ محصولها عليه، فالشاعر يرى غزاله بعين الفنّ، بينما هو ينظر إلى قصيدته بعين الغزال.

وهذا التبادل، أو التجاوب بين الاثنين، واضح بدرجة أعلى في النصف الثاني من النصّ، حيث يتعين كناس الغزال في مجاز الشعر، ويسري هو، راخياً أعنّته في طيات النشيد.

في التتبّع القرائي لهذا المسار، يلاحظ التركيز على إبراز مفاتن الغزال وصور جماله البديع، مادياً وروحياً، في نزوع الارتقاء به نحو الأسطورة. ويبدو الشاعر منقطعاً ههنا لعبادة الفن وتقديس الجمال، لا غاية له إلا ذات الفعل الذي يقوم به وينقطع إليه. ولهذا تراه منصرفاً إلى إعمال إزميل الفن في نحت

غزاله، وإلى جعل القصيدة مسرحاً له، وأفقاً لانكشاف جماله الجسدي الفائق في دقة التصوير وبراعة النحت:

((يمدُّ فضاءً للخيالِ
لينتشي
ويسحبُ متنَ القولِ
نحو استعارتهْ.

. . .

يؤلّفهُ شعرٌ على التلّ
تارةً
وكم شاهدوهُ
نازلاً من بلاغتهْ)).

لا مراء، من جهة أخرى، في أن غزال صقر عليشي يحمل التسمية ويجوزها، أو يخضع لها ويتأبّى عليها في آن معاً. فهو يحضر بالمحايثة، وينطق بالمفارقة، ويجمع بين الجانبين، فيشكل، بذاته، فضاءً آخر مشحوناً بالتوتر بين الدنوّ والعلوّ، يسكن الصور، ويتجاوز قيدها نحو خلجات الغيب وأنفاس القداسة. وهو، بذلك، يضارع فضاء القصيدة، من حيث إنها تقطن في الدليل وتعلو عليه، أو تسكن اللغة وتتجاوز حدودها المعطاة.

من هذا الجانب نقرأ في "غزال" صقر عليشي ما يصل بمستوى الكلام الصوفي وإشاراته الغامضة التي تبعث على الوجد والاصطلام، وتبارح مدار الألفة إلى الافتتان بتجلي الجمال المطلق في الصور المقيّدة، وتحمل على شغف الإنصات لكلام الوجود، أو لغة الكينونة التي يسرّ بها الغزال، أو يشفّ عن عمقها السريّ المحتجب، من حيث هو رمز أو علامة. وبهذا يتحد الغزال بالقصيدة، مرةً أخرى، في إذكاء طاقة الخيال وفعله الخلاّق في الكشف عمّا يجثم هناك خلف حدود المباشرة وترسبات الصور. وليس بخافٍ أن التوسل بالغزال أو الغزالة رمزاً على تجلي المفارق في برزخ الجمع بين الإطلاق والتقييد، قد شكل مَعْلماً بارزاً في نصوص الشعر الصوفي. ولعلّ هذا ما يحتاج إلى إفراد مكان خاص له في قراءة ثانية تتفرّغ له، وتصبر عليه.

وختاماً، فإن هذا المستوى، الذي يتوفر عليه نصّ "الغزال" لصقر عليشي، ينضاف إلى المستويات السابقة التي ألمعنا إليها في هذا الإجمال، ويتعاضد معها في نزوع العلو هذا، الذي يروم أن يجعل من القصيدة تكثيفاً أعلى للجمال الفني، وأن يجعل من "غزاله" مكاناً فنياً سامقاً يتكثّف فيه تاريخ الجمال.

قصيدتان للشاعر صقر عليشي

1- غزال المعاني

غزال المعاني مرّ من بعد غيبتهْ
يوزّع عن يسراهُ زهواً،
ويُمنتِهْ
ولم تخفِ من ألوانِها فيه
لوعةٌ
ولم يبخلِ الشوق العميقُ
بلمستِهْ
تهلّ له الأشجار مفتونةً بهِ
فيأخذ من أطرافها
حَسْبَ رغبتِهْ
إذا شجرٌ لم يملكِ الغضّ
وقتَها
مضى يستعير الغضّ
من عند جارتِهْ
*
يُسرّح لطفاً في الهواءِ
إذا مشى،
ويترك ومضاً خلفهُ
حين وثبتهْ
يهيمُ مع الأرجاءِ
كيف رمتْ بهِ
وليس لعطرٍ وجهةٌ
غيرُ وجهتِهْ
ويلبس جلدَ البرقِ
لم يلقَ غيرهُ
يناسب في هندامِهِ
وأناقتِهْ
تشرّب من غيب النبيذِ

تألقاً
ودلّى به،
في ظاهرٍ من صبابتِهْ
وخذ مشهداً لا ينتسى
وهو ينفض الغبار
بغنجٍ
عن نهايةِ ياقتِهْ
ودَعْهُ وما قد يرتدي...
وانتبهْ إلى
بغامٍ رخيم،
واستلذَّ بغنّتِهْ
*
وعيناه في إرناءةٍ منه،
راحتا
تلمانِ أفقاً ذاهباً
في وَسَاعتهْ
صفاؤهما وشّى به النبعُ
ذاتهُ
وقال قليلاً منهُ
أثناء رقتهْ
يسيلُ حرير النورِ
من عنقٍ لهُ
ويطلع وردٌ من خدود
غريزتِهْ
*
يباغتنا ما بين وقتٍ وآخرٍ
ويشردُ خلفَ الآل
عن ذهن فضتِهْ
فأمس وجدناه حزيناً
وصامتاً
كأنَّ به شيئاً
على غير عادتِهْ
.....

وحاولْ ـ بشكل ما ـ اقتراباً
لكي ترى
سريرَته تَنْقَى
على ضوء دمعتِهْ
*
يمدّ فضاءً للخيالِ
لينتشي
ويسحبُ متنَ القولِ
نحو استعارتِهْ
ومن أزرقٍ ينماثُ
في مهبل السما
إلى الشفق الأزهى
حدودُ إمارتِهْ
*
وها!.
بعد لم يستلَّ قرنيهِ
شاهراً
على أجمات الغدرِ
مرمرَ حدّتِهْ
يحكهما بالصخرِ،
يبريهما، فقدْ
يخطّ على لوحٍ
نشيدَ بسالتِهْ
*
وراقبته بالسّر
من خلف صخرتي
وأسرف في الإعلانِ
من فوق صخرتِهْ
أطل، وخلّى الغيمَ خلفيةً لهُ
وحث طيوراً
للدخولِ بلوحتهْ
وينقصه غليونُهُ...
لو أطاعني

لكان العلى
من تحتِ ظل سحابتِهْ
*
يحيّي على الوادي صباحاً
ويترك الجمادَ
على خزّ الرضا
من تحيتِهْ
يفيض به عَدْوٌ
فإمّا لمحتَهُ
تيقنت أنّ الريحَ
بعضُ سلالتهْ
يعمّمُ في كل الجهاتِ
رشاقةً،
متى تحفظ الأشعار
درسَ رشاقتهْ؟
*
وجاء ولم تغمضْ لفكرتهِ
الرُؤى
وغاب ولم يشرح غموضاً
لفكرتِهْ
يغادر من ألغازهِ
متلفّتاً
وأيُّ المعاني
لم يجئْ من تلفّتهْ؟
ويجنحُ نحو الصعب،
ذلكَ رأيُهُ،
ويمضي أماماً
واثقاً من سهولتهْ
يوسعُ مرجٌ نفسَه
ما بوسعهِ
ليبدي أفانيناً لنا
من براعتهْ
ولو أنت في الأعشابِ

دقّقتَ ممعناً
تراها انعكاساً واضحاً
لمشيئتِهْ
*
يؤلّفُهُ شعرٌ على التل
تارةً
وكم شاهدوهُ
نازلاً من بلاغتِهْ
وقيل عصيٌّ في المجاز
كِناسُهُ
وقيل ضباب الفجر
ريش مخدَّتِهْ
وقيل اسمه ...
تحلو الصلاة على اسمِهِ.
وقيلَ طيوبُ المسك
سارتْ بسيرتِهْ
وقيلَ له أسطورةٌ
تخرج المسا
وتبقى تجوب الليل
حتى نهايتِهْ
وقيل له في غابة السّر دربُهُ،
صديقي الذي حطّ الكلام
بذمّتِهْ
*
سأحلف منذ الآن
أيمانَ صادقٍ
بما انزاح عن ألطافهِ
من غلالتِهْ
سأحلف بالنجم الذي
قد رأيتهُ
يغذّ صعوداً
راجعاً من زيارتِهْ
سأحلف عمري..

بالترابِ
وبالحصى
وما داسه سهواً
على درب رحلتِهْ
*
له الآن أن يرتاح منّي
هنيهةً
ويشرب عند الفيءِ
فنجان قهوتهْ
له الآن أن يخلو
إلى «ما ورائِهِ«
ويجلو خفاياهُ
بمرآة وحدتِهْ
فلا تجفلوهُ...
خففوا خطوكم على
الطريقِ التي تودي
إلى صمتِ رنوتِهْ
ولا تفلتوا فـي هدأة الفجر
همسَكمْ
ولا تضعوا أقلامكمْ
قربَ صفحتِهْ
سلام على الإشراقِ
في وجناتهِ
سلام على المخفيّ
في روح عتمتِهْ
*
وكان غزالاً
كالغزالِ
ولم يكن
ليشبه إلاّ نفسه
في حكايتِهْ
وكان غزالاً
مترعاً....

متناسقاً....
سرى بنشيدي راخياً
من أعنتِهْ
ونوّه بالإعجابِ عنه مطولاً
غروبٌ
فراجعْ قوله في روايتِهْ
*
وقصّر من قالوا به
يصفونه،
ولم يصلوا...
حتى إلى عند ركبتهْ
سأضطرّ أن أنهي هنا
الوقتُ لا يفي
لنقرأ تاريخ الجمال برّمتهْ

2- من سيرة العاشق

وُلِدْتُ
فَخارَتْ لمَقْدَمِي البَقَرَاتُ
وَأَعْلَنَتِ الرّيح
من بَعْد ما هَزّتِ السّنْديَانْ:
أنّهَا حَاضرَهْ
وُلِدْتُ
فَزَغْرَدَتِ النّسْوَةُ الحَاضِرَاتُ
وَهَنّأنَ بِالمَجْدِ أُمّي
وَقُلْنَ كلاماً لَهَا
ظَلّ في الذاكرةْ
*
وُلِدتُ
وَلَيْسَ مَعي غَيْرُ هَذَا الجَبَلْ
قُلْتُ: لاَ بَأْسَ، يَكْفِي
أَخَذْتُ السّمَاءَ عَلَى عَاتِقِي
وَانْطَلَقْتُ

تُسَرّحُ لي الرّيحُ شَعْري
وَيَفْسَحُ لي شَجَرٌ كَي أَمرَّ.
أجلْ
رُحْتُ أُنْبي الصّخُورَ بِأَسْمَائِهَا
رُحْتُ أُنْبي الطّيُورَ بِأَعْشَاشِهَا
أُغِيرُ عَلَى كُلّ وَادٍ
أُفَاجِئُ غُزْلانَهُ بِوُجُودي
وأُبْهِتُ طيْرَ الحَجَلْ
*
جَدّتِي أَدْخَلَتْنَا مُبَاشَرَةً
في ثَنَايَا الحَنَانْ
حَمّلَتْنَا تمائمها وَتَعَاويذَهَا
وَكَانَتْ تَخَافُ عَلَيْنَا إذا طَائِرٌ في السّماءِ
عَبَرْ
تَظَلُّ لَنَا في النَّهَارَاتِ يَقْظَى
وَتُوصي بنَا في اللّيَالي القَمَرْ
*
وُلِدْتُ لعَائِلَةٍ مُتَوَاضِعَةٍ
لاَ تَمُتّ لِغَيْرِ السّمَا
بِالنّسَبْ
وَالِدِي فِي مناكبها رَاحَ يَسْعَى
وَكَانَ عَلَى الأُمّ جَمْعُ الحَطَبْ
*
أَخَذْتُ المَوَاشِي إِلَى النّبعِ
رَبّتُ ظَهْرَ الحِمَارْ
تَمَدّدْتُ فَوْقَ المُرُوجِ بكَامِلِ رُوحِي
وَكَانَ يُرافِقُنِي، غَالِباً،
إِخْوَتِي في الحَلِيبِ
خِرافِي الصّغَارْ
*
رَبِيْتُ عَلَى سِنّةِ النّبْعِ
قَادَتْ عُذُوبَتُه وِجْهَةَ الشعرِ
سِرْتُ شتاءً مَع السّيلِ

خَوّضْتُ فِي الطّينِ وَالرّمْلِ
وَابْتَلّتِ الرّغَبَاتُ بمَاءِ المَطَرْ
جَرّحَتْنِي الحَصَى
وَلاَقَى الكَثِيرُ مِنَ الشّوكِ دَرْباً
إِلَى قَدَمِيَّ
وَكَيْفَ أُقَارِن مَا فَعَل الشّوكُ بِي
بِمَا فَعَلَتْ بَعْدَ ذَاكَ
أَيَادِي البَشَرْ؟
*
وُلِدْتُ وَلَيْسَ مَعي
غَيْرُ هَذَا الجَبَلْ
قُلْتُ: لاَ بَأْسَ، يَكْفِي
وَقَفْتُ عَلَى كَتِفَيْهِ
وَرُحْتُ أُعبّ حَلِيبَ الغُيومْ
وَقَفْتُ عَلَى كتِفَيْهِ
وُرِحْتُ أَمُدّ يَدَيّ
وَأَقْطِفُ خَوْخَ النّجُومْ
*
وَرِثْنَا مُبَاشَرةً مِنْهُ
هَذَا الشّمَمْ
أَقَمْنَا مَوَاثِيقَ مِنْ شَجَرٍ بَيْنَنَا
مَا جَرَحْنَا مَشَاعِرَ أَحْجَارِهِ،
ذَاتَ يَوْمٍ،
وَلَمْ
نَخْتَلِفْ حَوْلَ تَفْسِيرِهِ لِلرّيَاحِ
رَعَينَا لَهُ حُرُمَاتِ الجِوارِ
اسْتطَاعَتَنا،
وَحَفِظْنَا الذّمَمْ
لَدَيْنَا وَثَائقُ تُثْبتُ هَذَا
لِمَنْ شَكّ فِي الأَمْرِ
وَهْيَ صادرةٌ عنْ أَعَالي القِمَمْ

مقالات

وقفة مع ديوان (أسئلتي)

للشاعر قيصر عفيف

عدنان الأحمدي

في هذا الديوان تبرز العلاقة الجدليةُ الإشكالية بين الوطن والمواطن تماماً في مثل أشعار قيصر التي توضع في خانة الحرب العنفية بين الإنسان ووطنه. كالحالة اللبنانية والعراقية والسورية وبقية الأنظمة العربية التي يصير بها عامل الطرد قوياً جداً إزاء عامل الجذب الضعيف فتكون الهجرة والتغرب والغربة نتيجةً طبيعيةً للحفاظ على حياة المرء صاحب القضية فتنمو في نفسه وروحه وعقله القدرة على الإحساس بالغربة الروحية والجغرافية. قد يسأل أحدهم كيف توصلتُ أنا الى هذا التعريف أو التشخيص وجوابي هو أنني عراقي ومحنتي تشبه محنة قيصر عفيف لذلك انجذبتُ ومن دون أن أدري الى قصيدة (تحلمُ الغربةُ بحيطان الوطن)التي يضمها هذا الديوان الذي أعود دائماً للتحليق في فضاءات قصائده. هذه القصيدة في شكلها الجديد وفي بنائها الفني تثير في نفسي وروحي عنفاً لامثيل له بسبب حبي لوطني العراق وبعدي وغربتي عنه التي عمرها طويل جداً. فهي أي القصيدة تُذكرني بحبي وكرهي أحياناً للوطن وبغضي لحكامه ولانقطاعي عن ذكرياتي العراقية وهي جريمة كبرى أن يُقْطَعَ الإنسان من ذكرياته. يقول الشاعر الهجرة لعنة ولكن كثيراً ما يكون الوطن لعنة. في الغربة يراودنا الوطن وفي الوطن تشدنا الغربة لاهنا نحن في البيت ولا هناك. هذه تقاسيم الغربة على عود الوطن المفقود. في هذا المقطع يظهر التمزق والصراع الروحي جلياً وكذلك الحسرات والتأوه بصورة محسوسة. من أحدث ما قرأت من الشعر الحديث هي القصيدة الرياضية والمعادلاتية التي أنجزها قيصر بشكلٍ بسيطٍ ومريحٍ للذائقة فيقول:

الوطنُ + الغربةُ = القضاء +القدر

الوطنُ +الوطن= غربه

الغربةُ + اللغة =وطن

الوطن _ اللغة =غربة

الغربةُ ×الوطن = قصر الزمان المسحور

لا يفهم هذه المعادلات إلا مَنْ فقدَ الوطن وآيس من العيش فيه ثانيةً. إن جمالية هذه الفكرة تكمن في رياضيتها الشعرية وفي جرأة شاعرها على المجازفة الحلوة هذه. هذه المجازفة التي دحضت مقولة الشعر لا يخضع لمعادلات هندسية ورياضية. وأعتقد ان نجاح الشاعر في توصيل شحنات معاناته للقارئ المأزوم بالوطن مثلي أنا تكمن أيضاً في لغته الغير مقَعَّرةِ فهي من نمط السهل الممتنع الجميل. تحمل هذه القصيدة شحنات اليأس والكآبة حين يقول:

شجرةُ الغربةِ لا جذور لها

شجرةُ الوطن لا أغصان لها

الغربةُ وطنٌ ضائعْ

الوطنُ حيث يموت الأحبة غربهْ

والوطن حيث نجوع لخبز الحرية غربهْ

الوطن جنةٌ جوانيهْ

(ومرةً قال الشاعر: الوطنُ خنجرٌ في الخاصرة)

إن قيصر عفيف شاعر يغاير في لغته الشعرية شعراء وشواعر لبنان يستطيع القاريْ أن يسعدَ في ابحاره في قصائده...

- **ديوان (أسئلتي): قيصر عفيف، منشورات دار نلسن بيروت 2007**

رأي في ديوان (حقيبة سوق السراي)

محمود شريح

عدنان الأحمدي، الشاعر العراقي المقيم في كولونيا الألمانيّة ، يُصدر، وقد تخطّى الثمانين، ديوانه **(حقيبة سوق السّراي)**، عن **الحركة الشِعرية** [المكسيك، 2023] في 114 صفحة من القطع الوسط، وغلاف أنيق للحقيبة وصاحبها؛ أمّا الحقيبة فهي للسفر جلديّة اقتناها الأحمدي من سوق السّراي البغدادي العبّاسي القديم في بداية الستّينيات، رافقتْهُ في أسفاره وحلّهِ وترحالهِ، فصارتْ مع الأيّام حاويةً لقصاصات الورق التي حبرّها شعراً وخواطر، منها قصائد يحملُ الديوانُ اسمهَا، وهي قصائد تدورُ على الوجداني والفلسفي والذاتيّ، في لغة سلسة، وإنْ جنحتْ أحيانا إلى سوريالّية مُغرِقة، ليس إلّا لتصوير الأُفق السوريالي العربي، من المحيط إلى الخليج، وهاجسُه على الدوام ما حلّ ببغداد من أسىً وفجيعة إثر سقوطها وديدنُه ما قاله الجواهري في أبي العلاء:

وللكآبة ألوانٌ وأفجعُها

أن تبصرَ الفيلسوف الحرَّ مكتئبا

سئم الأحمدي من شظفِ منفاه ، فيرتدُّ إلى مأساة السيّاب ليلقي الضوء على انهيار هرمِه النفسي :

في وطني العراق

يُباع كلّ شيء جميل

غالي الثمن

نادر الجوهر والعنصر

بسعر جلد الكلاب

في وطني العراق

لا أرخصَ من الدم المُراق

ومع ذلك يمضي الأحمدي في رحلة الضياع: مسافرٌ جوّال، ملفوفاً بنسيج العنكبوت، من محطّة قطار الى أجواء مطار، وبيده حقيبةٌ وحشيّة بريّة، ملأى بذكريات فريدة، و تعبقُ بحنين الى لحظة غروبٍ عند جسر بغدادي، حيث شجرة العاشقين تعلو نهرَ دجلة.

لا ينسى الأحمدي فلسطينَ وبلواها ولا صناعةَ التوابيت ببغداد، فيما الثلجُ يغطّي زجاجَ نافذته في منفاه في كولونيا، ويرى نفسَه جلجامش، ملك أوروك وسومر وبلاد النهريْن وبغداد دائماً في البال:

بغداد على أحرّ من الجمر

ساهرة

في انتظار الخيط الأوّل من الفجر

(حقيبة سوق السّراي) هي قصائد هلوسةُ الرحيلِ عبر الأزمان يخطُّها عدنان الأحمدي بريشة الوجع على قرطاس هجرته الأبديّة، فبُورِك شقاؤه.

شهادات

عن الناقد المغربي بنعيسى بوحمالة

الشغوف بثقافة الأعالي

ودعنا مؤخرا الناقد والصديق بنعيسى بوحمالة "1956-2023"، وبرحيل هذا الناقد المولع بثقافة الأعالي، يكون المشهد النقدي والأكاديمي المغربي والعربي قد فقد قامة سامية، ويعتبر الفقيد اسما رفيعا في مجال النقد النقدي الشعري المغربي والإفريقي والعالمي، فضلا عن دوره التربوي، مما أغنى رفوف المكتبة بالعديد من المؤلفات النقدية وبمناهج حديثة, ومساهمة منا في تكريس ثقافة الاعتراف بهذه القامة النقدية تأتي هذه الشهادات تقديرًا لمساره النقديّ المولع بالشعر.

- **إعداد: عبدالله المتقي**

بنعيسى بوحمالة: ناقد مليء بالانتصارات

عبد الرحمن التمارة

كشفَ تاريخ النقد المغربي والعربي أنَّ تحقُّقهُ كان بفضل نخبة من النّقاد شغل الأفق الإبستيمولوجي غايتهم. نقاد تحرّروا من النسق الإيديولوجي، وشيدوا نقداً نوعياً بأفق معرفي خلاّق. لم يخضع هؤلاء النّقاد لقانون «إرضاء» الأذواق والأهواء، ضمن سياق تبادلي أسُّه العرض والطّلب، بل استجابوا لسلطة النقد المعرفية، بآفاقه التنويرية الواسعة. لا شك أن الناقد المقتدر المرحوم بنعيسى بوحمالة ينتمي لهذا النوع من النّقاد. إنّ ترجيح انتمائه لزمرة النقاد الفاعلة والمنتجة، ناجم عن متابعة لمنجزه المليء بقين علمي رأى في النقد أداة لبناء المعرفة بالنصوص الأدبية عامة، الشعرية على وجه الخصوص، ومنها يقترب من عوالم الإنسان، بامتداداتها المختلفة؛ سواء أكانت ظاهرة أم مضمرة.

يكفي التّمعّن في حجم المنجز النقدي ونوعه عند السي بنعيسى بوحمالة، رحمه الله، كي يتبيّن أنه ناقد فذ يشتغل بمنطق قوامهُ «الانتصار» للمعرفة، فتراءى أسَّ فعله النقدي. إن إبستيمولوجية النقد عنده، المفارق بالضرورة للنقد الإيديولوجي، دالةٌ على فهمٍ نقدي يؤطِّره وعي نوعي بالنقد والأدب من زوايا تاريخية ونظرية وتحليلية. بهذا المعنى، فإنّ فاعلية النقد الأدبي، عند بوحمالة، مقترنة بمجمل أعماله النقدية؛ بوصفها منجزات مؤطّرة بشروط إبستيمولوجية خاصة، وقائمة على الإجادة والإحاطة والإنتاجية المعرفية. هكذا، يتراءى بنعيسى بوحمالة، أسكنه الله جنته، كأنّه المقصود في كلام فرانسيز سبارشوت حين قال: «إنّ كلّ كاتب جيّد للنّقد يلمُّ إلماماً كافياً بالكتابة، مما يؤهله لنقد الكتابة» .

يتراءى المنجز النقدي للمرحوم بوحمالة متميّزاً، ويظهرُ كاشفاً اقتراحات نظرية نوعية، ودراسات تحليلية عميقة لنصوص شعرية عربية ومغربية. إنّ تميّز تجربة بوحمالة النقدية مصدرها تفعيل النقد، على النصوص الشعرية المتعدّدة والمتنوعة، بغاية جعله «منتصراً» على الموضوعية والعلمية. هكذا، تتراءى أعمال الناقد على «حُسن الإنصات» النقدي لعدّة نصوص شعرية قائمة على شعرية العمق الإيحائي. ذلك، قد جعل نقده مفيداً ومهماً، لأن جوهره المعرفي محكوماً بالإضافة والتجديد؛ مما يُسْهمُ في بناء «حياة» أخرى للنصوص الشعرية.

تبدّى منجز بوحمالة النقدي، إذاً «منتصراً» لقراءات نقدية تأويلية خلاّقة؛ لأنها تجلت قراءات توجّهها غايات معرفية، لا نزوات فوضوية، ما جعلها منشَدَّة للفكر المنتج، والنقد المنهجي الفعّال. يتّضح، إذاً، أنّ النقد عند بوحمالة، أسكنه الله جنته، يعدُّ «حركة» إبستيمولوجية تشتغل على النص الشعري بمنطلق (الرؤية والإنجاز) التجديد والكشف، وبطرق (المنهج) تحكمها دينامية قرائية مُنْتِجة. وبالتالي، فإنّ النقد عند بنعيسى بوحمالة اختيار معرفي مؤسَّس يقيم في الوجود النقدي، وليس اختياراً متصلاً بـ«نقد المواكبة» المقيدّ بإرغامات التعريف بالنص الشعري الجديد والجيّد. بهذا المعنى، فإنّ الفعل النقدي عند بوحمالة قد «انتصر» لفاعلية النقد، فصيّره مقترناً بتواصل إبستيمولوجي مع نصوص شعرية تخفي أكثر ما تُظْهر، ومع قارئ طامحٍ للمزيد من المعرفة بهذا النّصوص.

انتصر نقد، المشمول برحمة الله، بنعيسى بوحمالة لـ «مغامرة القراءة»، بلغة بارت، التي تتّجهُ لفهم النص الشعري في ذاته ووجوده، عَبْر إجراء قرائي تأويلي يخلّصُهُ من أيّ ثبات دلالي. إنّ ذلك صيَّر القراءة النقدية عند بوحمالة مُنْتِجَة و«مقبولة» بالإجماع؛ لأنها قراءة أغفلت تبجيل المبدع الشاعر، وحفرت في الطبقات العميقة لنصّه، قصد كشف الغائب والمحتجب فيه. بهذا المعنى، فإنّ المرحوم بوحمالة انتصر لنمط نقدي حكمته خلفيات ورؤى وأهداف إبستيمولوجية، فتبدّى منجزاً نقدياً ممتلئاً فكرياً ومعرفياً. إنّ نقده أطّره التجرّد الموضوعي، مما أسعفه في فهم كيفية التعامل مع النصوص الشعرية، انطلاقاً من دينامية تواصلية وجَّهَها وعي نقدي بتموقع الذوات المساهمة في تلك الدينامية؛ لأن «فعل النقد يعني نسيانا للذات الشخصية أمام نوع من الذات المتعالية التي تتكلم في العمل» .

تميز نقد بوحمالة بـ«الانتصار» لفاعليته وإنتاجية القائمة على أسِّ التجديد والإضافة، وعلى التجاوز والمغايرة، ثم على الكشف والإبانة. لذلك، فقراءة منجزاته النقدية تبيّن أن استناده على القراءة النقدية الفعّالة قد حقّق وعياً عميقاً بالنّصوص الشعرية؛ سواء أكان وعياً متّصلاً بعوالمها الكائنة والممكنة، أم كان مقترناً بآليات بنائها الفني وتركيبها الجمالي. إن «انتصار» نقد بوحمالة للتميّز، في فاعليته الإنجازية، قد مكّنه من فتح آفاق النصوص الشعرية على احتمالات دلالية أخرى تمسُّ الثقافة والهوية. ظهر ذلك جلياً في جل كتبه النقدية النوعية المشار إليها في الهامش الأول من هذه المقالة الشهادة.

يظهر أنّ إنتاج النقد الأدبي عند المرحوم بوحمالة يمرُّ عَبْرَ ذاتِه الناقدة؛

بوصفها ذاتاً تفكّر، وتخطّط، وتنجز، وتراجع، وتتجاوز ذاتها في كلّ إنجاز جديد. إنها ذاتٌ تؤمّنُ الانتقال من مجهول الفنّ الشعري إلى مَعْلُومه، ومن احتجابه وخفائه، بفعل مضمرات ولّدتها طرق بناء عوالمه دلالياً وجمالياً وتنظيمياً، إلى انكشافه وظهوره. كأنّ خطاب النقد، بوصفه تحليلاً ودراسة، عند بوحمالة تراءى قائماً على مرتكزٍ معرفي هدفهُ «الانتصار» لتنوير الفنّ الشعري، بفعل مساءلة بنياته وأنساقه وأفكاره، وكشف عوالمه وأبعاده وانتظامه. وفي انتصاره ذلك، شيدّ نمطاً نوعياً من النقد مبتدأه الفعالية، ومنتهاه الإنتاجية. لذلك، يحقّ لنا أنْ نفخر بالمرحوم بنعيسى بوحمالة بوصفه إنساناً منتصراً للأخلاق الرفيعة، وبصفته ناقداً متمكناً من ممارسته النقدية.

أقول في الختام، حين يمسّ الموت إنساناً نبيلاً، وباحثاً مقتدراً، وناقداً فذاً، يحظى نُبْله واقتداره وقوته النقدية وأخلاقه النبيلة بإجماع معارفه، مثل المرحوم الناقد بنعيسى بوحمالة، تأكيداً، يكون الفقد فادحاً، والألم عميقاً، والفراق قاسياً. لهذا، في خضم الحزن على هذا الناقد الجهبذ، لا يسعني إلاّ الدّعاء له بالمغفرة والرحمة.

- لا أعني مجمل إنتاجه النقدي والمترجم، بل أقصد أعماله النقدية المخصّصة لنقد الشعر، من أهمها الأعمال الآتية: «النزعة الزنجية في الشعر المعاصر: محمد الفيتوري نموذجاً» [2004، 2014] ، «أيتام سومر: في شعرية حسب الشيخ جعفر» [2009]، «شجرة الأكاسيا: مؤانسات شعرية في الشعر العربي المعاصر» [2014].

- فرانسيز سبارشوت، «الإشكال في مشكلة النقد» ضمن: ما هو النقد، ترجمة: سلافة حجاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989، ص 21.

- بول دي مان، العمى والبصيرة: مقالات في بلاغة النقد المعاصر، ترجمة: سعيد الغانمي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، عدد 189، ط1، 2000، ص 86.

بنعيسى بوحمالة الذي مضى...

محمد الدوهو

كان أول لقاء لي بالناقد والمثقف بنعيسى بوحمالة بجامعة مولاي إسماعيل بمدينة مكناس في لقاء ثقافي جمع ثلة من النقاد والجامعيين المغاربة حول الرواية المغربية بدعوة من الناقد عبدالرحمان بوعلي سنة 2008 كان اللقاء رائعا وممهورا بمداخلات ونقاشات ثقافية عميقة حول الرواية المغربية وصيرورتها التاريخية والجمالية. وآنذاك كان بوحمالة هو رئيس الجلسة التي شاركت فيها بمداخلتي. وفي تقديمه لي اكتشفت أن بنعيسى بوحمالة رجل يعترف مع ما تحمله الكلمة من دلالات ثقافية وإنسانية بالتجارب النقدية والثقافية خارج أسوار الجامعة المغربية في ميدان العلوم الإنسانية التي تعاني اليوم من القحط الثقافي والنظري لأسباب يطول شرحها في هذا المقام، لكن الأجمل في بنعيسى بوحمالة رحمة الله عليه هو أنه كشف لي يومها، وهو ما فهمته مؤخرا، أنه من المثقفين القلائل الذين يعرفون أتم المعرفة أن الجامعة المغربية، وتحديدا كليات الآداب والعلوم الإنسانية، في أمس الحاجة إلى مراكز للبحث العلمي منفتحة على المنجز الثقافي الذي ينتج خارج أسوارها لتعميق سؤال الذات الثقافية المغربية في صيرورتها المحلية والكونية ومنجزه النقدي الرائع بوحمالة يكشف عما أقول، أول لم يقل في أحد حواراته "الموسيقى هي ما يقودني إلى فضاء هذا الشعر وتيّاراته وأسمائه، أقصد ولعي الباكر بموسيقى الأفارقة الأميركيين، كالجاز والبلوز والسّول والغوسبل، في ارتباطها بالذاكرة والمعيش، ما تعكسه قرائن شعرية، قوّة وفعلاً، في لباسهم الزّاهي وحركيّة أجسادهم وطقوسيّة بهجتهم أو حزنهم، في لكنتهم الإنجليزية المستعذبة وموسيقاهم الشجيّة"، ويضيف قائلا: "جاذبية كهذه هي ما قادني، لدى زيارتي لنيويورك، منذ أربع سنوات، إلى أن أقضي معظم الوقت في حيّ "هارلم" الخرافي. معقل السّود الأميركيين. ألم ينعت فيديريكو غارسيا لوركا في ديوانه "شاعر في نيويورك"، الذي كان ثمرة زيارته الأميركية التاريخية، السّود بملح أميركا؟ عبر بوّابة الموسيقى بدأت قراءتي لأدب السّود الأميركيين، شعراء وروائيّين ومسرحيّين، وحين اكتشافي، وأنا طالب في الجامعة، التجربة الشعرية الأفريقية العربية ممثلة بالشاعر السوداني، محمد الفيتوري، الحفيد الرمزي لعنترة بن شداد وأجيال من الشعراء السّود في التراث العربي، وكأنّما كان الأمر بمثابة إيقاظ لتلك الترسّبات والأرصدة التي استقرّت في وجداني عن الموسيقى السوداء، والنتيجة هي تصميمي، وقتها، على تعميق معرفتي ليس

فقط بتجربة الفيتوري وتجارب أقرانه السودانيين، بل وكذلك بالمدار الأوسع الذي صنعته أسماء أفريقيا من إيديولوجيا ونظرية وتعبيرات شعرية وثقافية، مقارناً بين التّعبير الشعري العربي لدى الفيتوري وشعراء أفارقة وأميركيين وأنتيليّين باللغات الفرنسية أو الإنجليزية أو الإسبانية أو البرتغالية. على أن المكسب الأكبر لي كان معرفة أفريقيا أكثر، تاريخها ومجتمعاتها و ثقافاتها وجروحها ومآزقها وتطلّعاتها."

أما آخر لقائي به فكان في سنة 2012 أثناء انعقاد مؤتمر اتحاد كتاب المغرب الذي تحول إلى سيارة متهالكة ومعطوبة بقي يسمع مذياعها فقط... كان اللقاء ثقافيا وحميميا مع الصديق القاص عبدالله المتقي والروائي الفيلسوف محمد الشركي وطبعا بنعيسى بوحمالة تكلمنا كثيرا عن إزرا باوند وأشياء ثقافية أخرى ثم افترقنا... وكان آخر لقاء مع بوحمالة الذي مضى إلى مثواه الأخير... لكنه سيظل خالدا في صيرورة ذاكرتنا الثقافية المغربية والعربية.

كان متواضعا ومسكونا بالأدغال المعرفية

الطيب هلو

قبل أن أعرف الناقد والمترجم بنعيسى بوحمالة بصفة شخصية كنت مكتفيا بقراءة ما يكتب. تلك الكتابات النقدية كانت تخلق لدي، بوصفي قارئا، أفق انتظار خاص عن شخصيته. أتخيله شخصا هادئا لا يستعجل شيئا ومترويا ورصينا لا يسرع إلى إصدار الأحكام، وأراه مترجما مبدعا في اختيار ما يترجم وفي طريقة ترجمته مهووسا بأسماء لا نعرف عن جلها غير الاسم، ولعل في "مضايق شعرية" دلائل لا تخفى. أما الأعمال النقدية التي صدرت تباعا فترسم صورة الناقد المعني بشعراء الهامش المقصيين من دائرة الضوء، أو الذين تمت إضاءة أعمالهم إضاءة خافتة، كالشاعر حسب الشيخ جعفر في "أيتام سومر في شعرية حسب الشيخ جعفر" أو محمد الفيتوري في "النزعة الزنجية في الشعر المعاصر" وغيرهم في "شجرة الأكاسيا: مؤانسات شعرية" بجزأيه المغربي والعربي. أما المقالة التي لا تزال محفورة في الذاكرة لما اتسمت به من عمق في التحليل وجدة في اللغة النقدية، تلك اللغة التي كان ينحت فيها كلمات خاصة به واشتقاقات لا تجدها عند غيره فهي مقالته الطويلة عن "كتاب الحب" لمحمد بنيس.

شاءت الظروف أن نلتقي في مناسبات مختلفة. أول لقاء جمعنا كان بالملتقى الدولي السادس بجرسيف سنة 2013 الذي اكتفيت فيه بالتحية المضرجة بالمهابة ثم توالت اللقاءات، وأهمها ملتقى سجلماسة الدولي للشعر والتشكيل سنة 2018 بالراشيدية الذي فسح لي مجالا واسعا لأتعرفه عن قرب وأنهل من معين ثقافته. أما آخر لقاء فكان بالناظور. على هامش الملتقى الخامس المخصص للكتابة النسائية سنة 2019. في تلك اللقاءات اكتشفت شخصا جديرا بصفة مبدع؛ رجلا يبدع في تعامله اليومي مع الآخرين. هادئ، ودود، متواضع ومسكون بالأدغال المعرفية فلا يتحدث في ما هو متداول، وإنما يعبر بك حديثه إلى قارات وحضارات لم تدخل دائرة معارفنا بالشكل اللازم؛ من أقصى شرق آسيا إلى عمق إفريقيا. تتيه به موسوعيته أحيانا فيشرد عن موضوع مداخلته قليلا فتجد نفسك في عوالم لا متناهية في استرسال عجيب وفصاحة شاهقة.

ترجل الفارس ورحل بهدوئه المعهود فلم ننتبه إلى انسحابه الوديع فترك في القلب حرقة وغصة.

عندما يسعف الموت ولا يسعف التاريخ ولا العبارة

مصطفى الشاوي

تتجاذبني في شخصية المشمول برحمة الله الناقد المغربي الكبير والمترجم الأكاديمي الدكتور بنعيسى بوحمالة انجذابات عدة، قد يصعب أن تختزل في ورقة كهذه، أو تستوعب في فكرة محددة في زمان ومكان ما، وهي نابعة من نوعية الروابط والعلاقات والوشائج التي جمعني به لمدة تربو عن ثلاثين سنة. علاقة الطالب بأستاذه، فالقارئ لنصوصه، ثم المشارك بمعيته في أكثر من مناسبة.

وقد أبيت إلا أستهل هذه الشهادة متخذا لها عنوانا مستعارا من إحدى مقالاته الرصينة عن الشاعر المغربي الرائد المرحوم أحمد المجاطي، كتبها في نهاية القرن الماضي، متحدثا كيف أنه شاعر أسعفه الموت ولم يسعفه التاريخ ولا العبارة، وهي متوالية تنطبق عليه، وعلى لحظة الكتابة هذه، التي أجدني فيها أسلك نهجه، وأحذو حذوه، وأقتفي أثره. وأنّى لي ذلك؟ وهو كالضوء كلما اقتربت منه أبهرك، وكالماء كلما حاولت القبض عليه خانتك فروج الأصابع، وكيف يجاري الظل أفقه، ويطاول الفرع أصله، والشط بحره، ولسان الحال يقف عاجزا عن وصفه، حاضرا وغائبا، شخص لا تحتويه العبارة بالفعل، وهو الذي اتسعت جبته حِلما وعِلما. فلم يكن ممن قال فيهم الشاعر:

قدْ يَحوزُ الإنْسانُ عِلماً وفَهْما // وَهْوَ في الْوقتِ ذو نِفاقٍ مُراءِ

لعل أول معرفتي بالراحل تعود إلى منتصف تسعينيات القرن الماضي، عندما كنت من الطلبة المحظوظين الذين تمدرسوا على يديه بالمدرسة العليا للأساتذة بمكناس بمعية فوج أغلب طلابه أصبحوا كتابا مشهورون حاليا في الساحة الثقافية، في مجالات مختلفة، خرجوا من معطفه الثقافي، كما وصف دوستويفسكي انسلال الروائيين الروس من معطف غوغول. فكان رحمه الله أستاذا له كاريزما خاصة، تميزه عن غيره من الأساتذة الأكفاء والأجلاء، وتجعله محترما لدى الجميع دون استثناء، وكانت حصصه من أعز الحصص المقررة، ننتظرها بشوق حار، وشغف كبير، ولا نشعر بانقضائها، لعدة اعتبارات، طريقته في التدريس، وأسلوبه في التخاطب..

كان رحمه الله أستاذا محاضرا من العيار الثقيل له طابعه الخاص في

الإلقاء الذي لا يشبهه فيه أحد، يندمج مع لحظة الإلقاء اندماجا عجيبا حتى لتخاله أصبح والموضوعَ المتناولَ شيئا واحدا، وفي انصهار عجيب، وتناغم تام، وتناول مبهر، يدل عن تمكن ودراية وكثرة الاطلاع، وكان، بدون منازع، ناقدا فذا عميقا ودقيقا، وحصيفا ومتميزا في كتاباته واختياراته شكلا ومضمونا، لغة وأسلوبا، يجترح اللغة والمفاهيم ويطوّعها لتلائم تصورات الخاصة، ويصعب بكل صدق أن تجد شخصا يشبهه في المجالين معا، وهذا أمر يشهد به له الجميع، وهو دليل تميزه وتفرده.

وكان من المستحيل أن تلقاه دون أن يزرع فيك انطباعا خاصا؛ وأذكر أني التقيته غير ما مرة في مناسبات ثقافية عدة بالعاصمة الإسماعيلية مكناس، فكلما شاهدته بمقهى الوطنية بحمرية، أو قرأت اسمه مشاركا، أو مُحتفى به، إلا وهرولت مسرعا قاصدا مقر اللقاء، وبعد فترة ليس بقصيرة، سنلتقي مرة أخرى بمناسبة انعقاد الدورة الثانية لملتقى الرباط بغداد للشعر، فسلمت عليه بحضور صديق لي، وأنا أحييه خافضا رأسي احتراما لشموخه، قال لي بابتسامه المعهودة "ها نحن قد التقينا، أتابع كل اللقاءات الثقافية التي تشاركون فيها بمكناس". وغير بعيد عن هذا الموعد سيكتب لنا اللقاء بملتقى جرسيف الدولي الثامن للشعر والتشكيل، حيث أذكر أنه قدم تدخلا مستفيضا حول تطور الشعر المغربي الحديث والمعاصر. وبعد انتهاء الفترة الصباحية تصافحنا، وقال لي بالحرف "ها نحن التقينا ثانية بعد لقائنا سابقا بالرباط" وهو دليل على كونه كان رحمه الله متتبعا ومهتما بالشأن الثقافي وأصحابه، ومحترما ومقدرا لكل الأقلام الجديدة التي برزت في الساحة، ويعرفها جيدا بالاسم والصفة.

فوداعا يا من تركنا كأيتام سومر دونه نبحث فينا عمن يؤنسنا، ونلتمس صدى ما تركه حولنا من أثر عميق، نتحسس علائق المجاورة ووظائفها في أعماله، منغمسين في شعرية حسب الشيخ جعفر، ومؤنسين بمؤانسات شعرية في ظل شجرة أكاسيا، غاضّين الطرف عن عمقنا الثقافي الإفريقي القصِيّ، وعن نزعة الشعر الزنوجي العصيّ، وعن الرؤية الأورفية والوعي الممكن، نحو تسطير خطاب استجدائي، يشكل أسطورة رجل ومثقف شهم، أسعفه الموت ولم يسعفه التاريخ ولا العبارة ولا السيجارة.

بنعيسي ... حس نقدي متسلح

مصطفى داداس

حين تكون النهاية بطعم البداية، وتصبح لوعة الغياب عبورا إلى ألَقِ الحضور؛ ندرك أننا نودع أديبا وناقدا من طينة خاصة، كيمياؤه شغف بوهج الإبداع، وروحه عشق أبدي لصدى الكلمة. لقد آمن الأستاذ بنعيسى بوحمالة - رحمه الله - بجدوى الكلمة الصادقة التي "لا تخرج إلا في ثوب أسود"، وظل معتصما بالفكر الحر إلى آخر يوم من حياته. كرس جهوده لخدمة البحث العلمي، وتدريب أجيال متلاحقة من المدرسين المغاربة. كما حرص على مواكبة الحساسيات الإبداعية الحداثية، دون التقيد بالحدود الفاصلة بين الأمكنة والأزمنة واللغات والثقافات، فخلّف مدونة نقدية أتاحت لدارسي الشعر مادة غنية تناولت الشعرية العربية باختلاف مرجعياتها ومشاربها الفكرية. ولم تقتصر جهوده على الشعر العربي في المغرب والمشرق، بل إنه مضى يقرأ أعمال شعراء فرانكفونيين في القارة السمراء ، متوسلا بخبرته الكبيرة في الترجمة، وحسه النقدي المتسلح بكشوفات الدراسات الثقافية العابرة للحدود.

لكل هذه الأعمال والإنجازات الجليلة التي حققها الأستاذ بنعيسى بوحمالة، فإن رحيله كان فادحا وصادما. على روحه الطاهرة الرحمة والمغفرة والرضوان والسكينة.